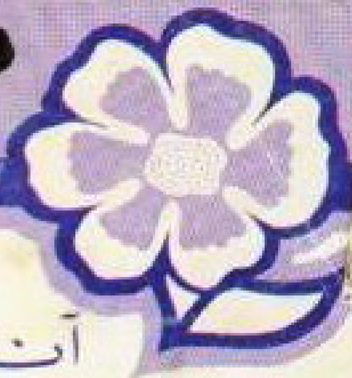
روايات عبير



آن ويل

إمرأة لكل الفصول

١٢٥

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 125

إمرأة لكل الفصول

قلب للبيع... انجيلا عرضت قلبها للبيع رغبة منها في الثروة والخلاص من الفقر. سافرت الى جزر البهاماس مع شقيقتها سارة بحثاً عن العريس الذي تقدم له قلبها على صحن من فضة... هل يباع القلب كما تباع الاشياء الاخرى؟ انجيلا اعتقدت ان قلبها في يدها تعطيه للعريس المناسب...

لكن القلب متمرد... مجنون، يهوى من يدغدغه ويجيد لغته... ويتجاوب وخفقاته. هذه اقوال سارة التي تعتبر الوقوع في الحب من اهم شروط الزواج. الاختان كالماء والنار لا تلتقيان.

انجيلا اعلن قلبها العصيان عليها... واوقعها في حب لازلو البوهيمي في غفلة عنها وسلمه مفتاح حياتها.

اما سارة فمنحها الحب من نعمه وهداياه الشيء الوفير حين احبت ستيفان راند. لكنها احترقت لوعة بعد ظهور فاليري، الجميلة في حياته. فهل تغير الغيرة من مسار القلب؟

لبنان	٨ ل.ل	الكويت	٨٠٠ ف	اليمن	١٠ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	٩ ل.س	الامارات	١١ د	تونس	١٬٢٥٠ د	U.K.	£ 1
الأردن	٦٠٠ ف	البحرين	١٬٢٥٠ د	ليبيا	٨٠٠ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٠ ر	المغرب	٩ د	Greece	Drs 180
السعودية	٩ ر	عمان	١٬٢٥٠ ر	مصر	٨٠٠ م	Cyprus	P 1.250

١ـ الارث

ـ أنجيلا، استفيقي يا أنجيلا.

واستفاقت أنجيلا غوردون من حلم لذيذ على صراخ شقيقتها ودفنت وجهها في الوسادة، فصرخت ساره:

ـ أنجيلا، انهضي، لقد حصل الأمر، وقد حمله البريد الينا.

ـ ماذا، ماذا حصل؟

ـ الفلوس طبعاً. فلوس العمة دوروتي.

دفعت أنجيلا غطاءها عند سماعها كلمة فلوس واستوت على سريرها قائلة:

ـ هل هذا صحيح؟

والتقطت الاوراق الثبوتية من ساره وسألت:

- أرني كم معنا؟

فأجابت ساره:

- ألفان وستمئة جنيه ويزيد.

ماتت عمّة الصبيتين منذ سنتين تاركة لهما جميع ما تملك: بيت عتيق في ضواحي مدينة فيفان وأثاث رث لا يصلح الاّ للمجموعات الأثرية وأوان أخرى لا فائدة فيها، ممّا جعل أنجيلا وساره غير مهتمتين بالامر. وكان الكاتب العدل قد نبّههما الى أنّ قانون الارث يستوجب وقتاً قبل تنفيذه وأنه، بعد احتساب المصاريف المتوجبة لا يبقى لهما شيء يذكر. لذلك نسيت ساره الارث ولم تتذكّره الاّ عندما لمحت الرسالة الرسمية الكبيرة في علبة البريد. وبحماس قالت:

- يجب الاحتفال بالامر. سندعو أصدقاءنا واطلب من ديك أن يجلب اسطواناته وسأحضر طبقاً من المعكرونة ونشتري عصير الفواكه و... ما بك؟ يبدو انك غير متحمسة للأمر يا انجيلا... هل انت متعبة؟

والقت أنجيلا نظرة تائهة على شقيقتها ممسكة بطرف قميصها الشفاف. وقالت وهي تفكّر وتعبث بحليها:

- كنت اتمنى ان نحصل على خمسة آلاف جنيه على الأقل.

- خمسة آلاف؟ أنا اعتبر الالفي جنيه ثروة.

قالت أنجيلا وقد اعترى وجهها بريق اهتمام:

- حسناً سنتدبر الامر.

- نتدبّر الأمر؟ انه مبلغ لم نحصل على مثله في حياتنا. سنعيد تزيين البيت ونذهب في اجازة و... نفعل اشياء كثيرة. يا الهي. انظري الى الساعة. ستتأخرين عن الموعد. سأحضر الفطور بسرعة...

كان المطر ينساب على الزجاج ولم تكن المدفأة تشيع جواً من

الدفء في الدار، لكن ذلك لم يمنع ساره من ان ترتب الطاولة وهي تغني. كانت تكسب معيشتها من الضرب على الآلة الكاتبة لدى شركة للتأمين، بينما كانت أنجيلا تعمل بائعة في مخزن أزياء في حي نايتسبيردج ممّا جعل حياتهما تدور بصعوبة. فبالرغم من اقتصاد ساره، كانت المصاريف المفاجئة تذيب المال المدخر. لم تكن الاختان فقيرتين ولكنهما لم تستطيعا ادخار مبلغ من المال يقيهما العوز، وتركة العمة تسمح لهما الآن بمجابهة جميع الكوارث لذلك شعرت ساره بأنها شبه غنية. انها اصغر من اختها بثلاث سنوات لكنّ ثقل المصروف كان يقع دائماً على عاتقها هي. وغالباً ما كانت تتمنّى ان تكون اختها مقتصدة نوعاً ما، وأقل ميلاً الى التبذير وذلك عندما كانت تجد صعوبة في الانفاق حتى آخر الشهر. صحيح ان السلع الرخيصة تصبح اكثر كلفة على المدى الطويل بفعل الاستعمال، ولكنها لم تكن تستطيع ان تفهم ان احذية جوردان وحقائب هرمس وادوات التجميل ديور كانت تباع بأسعار باهظة خصوصاً وأنّ انجيلا كانت بالغة الجمال بحيث انها لم تكن بحاجة الى اثواب انيقة أو تجميل خاص لتبدو غاية في الاغراء.

خرجت أنجيلا من الغرفة وشعرها مبعثر بذوق وأجفانها مرسومة بعناية فائقة، فقالت ساره:

- خسارة ان تكوني مضطرّة للذهاب الى العمل اليوم.

مكان عمل ساره يقفل يوم السبت في حين ان انجيلا تعمل في ذلك اليوم حتى الظهر. فأجابت أنجيلا بتثاقل وهي تسكب لنفسها فنجان قهوة:

- لا عليك، لن اتأخر كثيراً.

- ماذا تقصدين؟

- سأقدّم استقالتي... واستقالتك انت ايضاً.

فارتبكت ساره وكادت ترمي مقلاة البيض أرضاً:

ـ استقالتك؟

فردّت أنجيلا بنفور المتسلّط:

ـ اجلسي، كلي واسمعيني. سنترك وظيفتينا المرهقتين واللتين لا تؤديان الى شيء. سنتخلى عن هذا الكهف التعيس ونبدأ حياة جديدة.

ـ ولكن... أنجيلا...

ـ سنشتري حقائب جميلة وملابس للبحر ونصف دزينة فساتين سهرة وحالما أنتهي من دراسة التفاصيل، سنستقلّ الطائرة الى باهاماس.

ظلّت ساره فاغرة فمها وصامتة هنيهات ثم تفرّست في وجه اختها وتمتمت بصوت خافت:

ـ أنت مجنونة تماماً.

ـ أبداً بالعكس، فأنا أفكر بهذا المشروع منذ عدّة أشهر وهو مناسب جداً.

ـ لكننا لا نستطيع التخلّي عن كل شيء. ألفا جنيه... شيء عظيم لكنّنا اذا توقفنا عن العمل فلن يبقى معنا شيء بعد ستة أشهر...

فردّت أنجيلا بهدوء:

ـ ألم يذكر احد أمامك بأن صيد الاسماك يتم بالطعم؟ فلوس العمة دوروتي ستشكّل هذا الطعم الكبير الذي يجعلنا نصطاد السمكة الكبيرة.

وقفت ساره متسائلة اذا ما أثرت رسالة الكاتب العدل على عقل اختها لكن أنجيلا تابعت حديثها بالهدوء ذاته:

ـ ستعترفين بنفسك أنّ الحياة لم تكن غاية في البهجة في الفترة

الاخيرة، وليس هنالك بريق أمل لتحسين الوضع. اذن، هذه فرصتنا لنتحرر ونخرج من هذه الدوامة.

ـ تقصدين... أن نبذّر كل ما لدينا خلال أسابيع، للرفاهية؟ وماذا سيحدث اذا اضطررنا للعودة الى الارض والواقع؟

ـ بالتحديد. اذا سار كل شيء على ما يرام، لن نضطرّ للهبوط ثانية او على الاقل ليس في مكان تعيس كهذا.

رفعت ساره يديها الى شعرها الكستنائي القصير محاولة اخفاء حيرتها التامة.

ـ اسمعي، انا لا افهمك. ما هو قصدك؟ بماذا تفكرين؟

فسكبت أنجيلا لنفسها القهوة ثانية وأشعلت سيكارة.

ـ عمري ٢٥ سنة. حتى الآن عرض علي الزواج ثلاث مرات لم اكن لأقبل بأحدهم ولو من بعيد. والرجل الوحيد الذي أردت الزواج منه كان متزوجاً.

رأت ساره مسحة من الحزن في عيني أختها التي أكملت:

ـ اذا صدق المثاليون، واذا انتظرت كثيراً، فسأقع حتماً على فتى احلامي. لكن ما اريده الآن هو زوج مريح كثير المال طبعه متساهل. ولهذا السبب يا صغيرتي الحبيبة، سنطير معاً نحو بلاد الهند الغربية المشمسة.

فصرخت ساره:

ـ هل تنوين جدياً تبذير كلّ رأسمالنا لتحاولي الامساك برجل غني؟ أنت فعلاً مجنونة.

اجابت أنجيلا بجدية:

ـ انها طريقة خشنة وفظّة للتعبير، لكن هذه نيّتي في الاجمال. فلا ترتعبي هكذا يا حبيبتي. لن اتزوج رجلاً كهلاً لمجرد انه غني لكنني اعتقد انه بامكاني ايجاد رجل مقبول، ليس في لندن لاننا لا نعاشر

الاوساط الراقية، لكن ناسو عاصمة باهاماس، تقدم لنا خياراً مهماً مغرياً.

ـ انك تهزأين بي. أنا لا اصدقك.

فاطفأت أنجيلا سيكارتها ووقفت.

ـ يجب ان اسرع في ارتداء ملابسي.

عادت الى الغرفة تاركة ساره مصعوقة من الدهشة، لا قابلية لها للأكل ومتأكدة بأنّ اختها لم تكن تمزح بل تتكلّم بجدية.

عشر دقائق مرّت، ظهرت بعدها انجيلا بفستان اسود، انيق فوقه شال من الحرير الابيض. سألت اختها:

ـ هل راقت لك الفكرة؟ اتتصورين فكرة قضاء شهر في الشمس؟ انه الصيف كل السنة في الباهاماس.

فأجابت ساره بصوت يرتجف:

ـ واذا رفضت الذهاب معك؟ لا تنسي ان نصف هذا المال لي.

ارتدت انجيلا معطفاً واقياً من المطر وقالت بصراحة والابتسامة تعلو شفتيها:

ـ ليس لديك اي خيار يا حبيبتي. فأنا أستطيع ان انظّم سفري بثمانمئة جنيه لو أردت، لكنه يصعب عليّ تركك وحيدة هنا.

ـ آه، لا تخدعيني، فأنت تعرفين انك لن تسافري لوحدك.

لبست أنجيلا قفازيها وأمسكت بحقيبتها السوداء اللماعة. فاكتشفت ساره عند اختها تعبيراً لم تعهده من قبل. كانت عيناها المتوحشتان تلمعان من الحنق.

ـ لا داعي للنقاش يا ساره فأنا افكر بهذا منذ وصلتنا اول رسالة من الكاتب العدل وأنا مصمّمة على تنفيذ مشروعي. بامكانك الاعتراض حتى آخر نفس من أنفاسك فلن اعدل عن قراري. أما الآن، فسأودع المال في المصرف ويوم الاثنين، سأشتري بطاقتي

سفر... أمهلك حتى ذلك الوقت لتقرري مجيئك أو بقاءك هنا، وأتمنى ان تتعقّلي وتأتي معي... والا ذهبت كل واحدة منّا في طريق.

وما كادت ساره تستوعب حدّة هذا الانذار حتى كانت أنجيلا قد خرجت من الشقة.

بعد مرور الاسبوع الأكثر اثارة وحركة في حياتها، كانت ساره جالسة في مقهى في ريجنت ستريت تنظر الى اختها.. وبعدما جادلت وتوسلت وناقشت بقسوة وفاضت الدموع من عينيها، رأت نفسها في نهاية الامر مضطرّة للرضوخ. والآن، بعدما تركت الاختان محلّهما وبيتهما، شعرت ساره بأنها مركب صغير تكسرت حباله وجرفه تيار خطير.

واذ بأنجيلا تقول:

ـ اشتريت البطاقتين والحقائب اللائقة وحجزت غرفة في الفندق. فعليك الآن ان ترتدي ملابسك فمن غير الضروري ان ابدو انا رائعة اذا لم تكوني انت على المستوى المطلوب. يجب ان نبدو نحن الاثنتين وكأننا معتادتان على الرفاهية، وحتى الآن، لا أمل فيك من هذه الناحية. لا أريد ان تغضبي، لكنك بعيدة عن مظهر الفتاة التي تنعم بمال والد وافر الثروة.

ـ لأن الامر ليس كذلك وهذا حالك.

ـ لا، لكن هذا هو الانطباع الذي نريد اعطاءه. فأول خطوة هي تصفيف شعرك وترتيب يديك.

ـ ما هي ملاحظاتك على شعري؟ وما بهما يداي؟

على عكس أنجيلا التي ورثت جمال أمها، كانت ساره تشبه والدها، عينان عاديتان جميلتان، وأسنان ناصعة، لكن أنفها كان قصيراً جداً يعلوه النمش.

أجابت أنجيلا:

- أفضل ما يمكن، هو قصة شعر ناجحة. ويجب أيضاً ان تطلي أظافرك، وتفركي يديك بالمرهم. واذا ما حدثك أحد عن آلة الطباعة، فيجب ان تتظاهري بعدم معرفة ماذا يعني. تعالي، سنرى اذا كان من الممكن تزيين شعرك الآن، وسنمضي بعد الظهر في شراء الاثواب لك.

في ذلك المساء، وبينما كانت انجيلا تستحم، جربت ساره بعضاً من ملابس عطلتها. وبما أنّ شعرها كان مجعداً، كانت تغسله بنفسها وتصففه ولا تذهب عند المزين الاّ مرة كل شهرين لتقصه.

كانت ساره تفكر دائماً بأنّ الفرق بين صالونات التزيّين في الشوارع الكبيرة والصالون الذي تصفف فيه شعرها في زاوية الشارع هو الديكور الهندسي الاجمل والاسعار الفائقة الارتفاع. ولكن كان لا بدّ من الاعتراف بأنّ المزين بربطة عنقه وحركاته كان فناناً بالفعل. الغرة الجديدة الخفيفة جمّلت وجهها وخففت من عرضه.

شعرت ساره بنوع من الرعشة في جسمها وهي تنظر الى نفسها في المرآة، مرتدية سروالاً مرجانياً مع قميص حريري أبيض. كانت مقتنعة تماماً، منذ البداية، ان مخطط اختها لعين ولا بد أن ينتهي بكارثة... لكنها انسانية ولهذا شعرت بالفرح عندما رأت نفسها بهذه الاناقة متخلّصة من رتابة عملها وسلبيات شتاء لندن.

خرجت أنجيلا من الحمام تفوح منها رائحة العطور الثمينة وجلست على السرير ترتب أظافرها.

- هذا اللون يليق بك يا حلوتي، لكنك بحاجة لتجميل وجهك اكثر. حاولي ان تضعي لوناً على أجفانك اضافة الى الكحل.

فانتزعت ساره ملابسها وارتدت ثوب نومها بعدما طوت بترتيب ثيابها الجديدة.

- أنجيلا... قلت في ذلك النهار انك أردت الزواج من رجل

واحد.. هل هو روس اندرسون؟ سألت ساره ذلك بصوت متردد متذكّرة ذلك الشاب الجذاب الذي جاء ليخرج مع شقيقتها مرتين او ثلاثاً خلال الربيع الماضي. وذات يوم لم يعد يتصل فبدت انجيلا مضطربة بعض الشيء لفترة. غير أنّ شيئاً لم يدل ان أنجيلا كانت ضحية صدمة قوية، ولا أن هذه القطيعة أغاظتها.

- أكاد لا أصدق انك تتذكّرينه، تمتمت أنجيلا دون ان ترفع رأسها: الأفضل ان تعرفي كل شيء الآن مع أنّ احداً! لا يتعلّم من اخطاء غيره ولكن... تعرفت عليه عندما قدمنا تلك المجموعة الكبيرة، في آذار فهو يعمل في احدى دور الملبوسات الجاهزة. وكنت أجهل حينها انه تزوج ابنة رب العمل ليتعلم المهنة قبل التربع على كرسي مريح في مجلس الادارة.

- كيف عرفت ذلك؟

فأجابت انجيلا:

- لحسن الحظ، رآنا شخص معاً فأخبرني بذلك.. لولا ذلك لكنت ارتكبت خطأ هائلاً... فقد كان روس أندرسون يعتقد بأني على علم بزواجه. فلو خبّأ عن قصد وضعه، لكان ثقل الحزن اقلّ علي. والمزعج هو ان تري نفسك واقعة في حب رجل يعتقد انك من نوع النساء اللواتي يجدن لذة في المغامرات مع رجال غيرهن.

لزمت ساره الصمت هنيهة. كان يخيل اليها أنها تعرف أختها ولكن الآن، تراها غريبة أمامها. لم تترك أنجيلا المجال مرة واحدة ليكتشف احد أساها وخجلها العميقين وردّت على أختها بنعومة:

- ولكن يا حبيبتي، ليس كل الرجال من هذا الصنف. فمن الجنون ان تدمري حياتك بسبب خطأ.

- ليس في نيتي تدميرها.

- بامكانك ذلك اذا تزوجت بلا حب.

- لم تقعي في الحب بعد يا حلوتي، فلا تتكلمي عنه اذن.

- ممكن، لكني أعرف ان النهاية ليست دائماً سيئة.

فما كان من أنجيلا الاّ ان ردت:

- حتى ولو توصل الاثنان الى الزواج بعد حب كبير، فماذا يحدث؟ بعد خمس سنوات ينكسر الرونق ويفقد الاثنان كل ما لديهما من نقاط مشتركة. اما اذا كان الزواج عن سابق تفكير فلا مجال لخيبة أمل او بالاحرى لا يتوهّم الواحد بخصوص الآخر.

فلم ترد ساره ظانة في نفسها ان الطريقة الوحيدة لكي تغيّر انجيلا أيها بهذا الموضوع هي ان تقع في الحب مرة ثانية.

أقلعت الطائرة من مطار لندن ومعظم المسافرين كانوا أزواجاً متقدمين في السن، الرجال منهم صلع، اما النساء فظهرن بملابس راقية مغطيات بالفراء الثمين. وبعد الاقلاع مباشرة، انطفأت الاضواء الفردية وتمركز المسافرون في كراسيهم للنوم. لكن أنجيلا كانت قد بدأت تتنفس بانتظام اذ سبقتهم الى الرقاد بينما بقيت عينا ساره مفتوحتين غير قادرة على السبات.

كانت الساعة قد قاربت الثانية عندما استطاعت اغماض عينيها ونامت بعمق لدرجة ان أنجيلا اضطرّت الى هزّها عدّة مرّات لايقاظها. كان النهار قد طلع وعلى آلاف الامتار من أجنحة الطائرة، والاطلسي الشمالي يشع تحت الشمس.

بعد الفطور، ثرثرت انجيلا مع المسافرة الجالسة في الصف الموازي بينما اطّلعت ساره على الدليل السياحي الذي تقدمه شركة الطيران للمسافرين ومنه خارطة لارخبيل باهاماس بكامله... مع أسماء الجزر: غراند أباكو، ماياغانا، ايلوتير... وفكّرت وهي تقرأ هذه الاسماء بأن الامر يسهل اذا اخذت مع شقيقتها باخرة ودارتا في هذه الجزر الموحشة بدلاً من البقاء في مركز سياحي كبير.

كان من المتوقع ان تحط الطائرة في نيو بروفيدنس ظهرا، وما كادت تقترب من المطار حتى فاجأها اللون الفيروزي الرائع الذي غطى المحيط، وأبصرت ساره الجزيرة التي كونت نقطة غامقة تحت المساحة الزرقاء...

- آه أنجيلا، انظري.

لكن أنجيلا كانت مأخوذة بطلاء شفتيها بالاحمر، فلم تكترث.

بعد نصف ساعة، كان الركاب يطأون السلم للنزول... خيل لساره أنها في عالم آخر... تحت الشمس الساطعة، ورائحة الصيف ونسيمه... لم تصدّق أنها بين ليلة وضحاها انتقلت من سماء لندن الكئيبة الداكنة الى هذا الجو اللازوردي الصيفي.

الفندق الذي حجزت فيه أنجيلا غرفتهما، أمنت الخدمة السياحية الوصول اليه. فما أن خرجتا من الجمارك حتى استقبلهما رجل باهامي أسود البشرة، يرتدي بزة بياضها ناصع كأسنانه قادهما الى عربة بيضاء يقودها حصان وغطت مقعدها خيمة زهرية فاقعة.

فالتفت السائق باسماً وقال بصوت هادىء بلهجة بلده:

- الهواء عندنا دائماً مؤاتياً للمراكب الشراعية في الجزر يا آنستي.

ذهلت ساره عند مرورها في شوارع ناسو العاصمة، من وجود الزهور في كل مكان... فالاصفر والاحمر الفاقع والنباتات المنقطة بالذهبي والالوان الزهرية والبيضاء... حدائق كيفما ادارت رأسها.. هكذا كان انطباعها وهي تسير بين السيارات الاميركية الكبيرة والانكليزية الاصغر.

لما وصلتا الى الفندق في باي ستريت، شارع المدينة الرئيسي، اقتربت انجيلا من اختها هامسة:

- لا تندهشي يا ساره، فهنالك بلا شك الكثير من الناس في البهو، والانطباع الاول هو الاهم.

فتبعت ساره اختها بدون ان تبدي اي حركة اعجاب الى قسم الاستقبال الذي دلها على غرفتهما التي تطل شرفتها على الخليج، واقعة في قسم ذكّر ساره بفندق في فنيس لأن البحر كان يصل الى شرفة الطابق الارضي حيث كان عدد من الزبائن يتناولون طعام الغداء. ورأت ساره باخرة ذات محرك تتوقّف ويصعد ركابها على درجات المطعم ليتناولوا طعامهم على الطاولات المحجوزة سلفاً.

لحقت أنجيلا اختها الى الشرفة وقالت:

- ستتناول غداءنا في الغرفة ونرتاح بعد الظهر. فأنا لم انم جيداً كما يبدو الارهاق عليك انت ايضاً.

- لكنني لست متعبة وأستطيع ان ابدأ السياحة.

- لا داعي للاسراع. سنظهر ساعة ابتداء السهرة. اطلبي الغداء الآن. سأستحمّ.

كانت ساره تريد ان تقول بأنها ليست هي التي تبحث عن زوج ثري، فلا بأس اذا لم يعجب بها احد.. لكنها لم تقل شيئاً.

بعد قليل استلقت انجيلا على احد السريرين واضعة قناع التجميل على وجهها، بينما جلست ساره تستمع للضحكات الخارجة من الشرفة الارضية وفكرت بالاستفادة من وقتها، فحرام ان يذهب هذا المصروف سدى. فقرّرت بعد نصف ساعة من الانتظار، ان تخاطر وتنزل حتى ولو كان غضب أنجيلا هو الثمن. فاختارت ملابس رزينة، بنطلوناً من القماش الأبيض وقميصاً بسيطاً وخرجت الى الشمس. وبعدما تجولت في باي ستريت متأملة المباني القديمة، وصلت الى الخليج حيث رأت بواخر من جميع الاشكال والانواع ابتداء من تلك التي تنقل السياح الى الجزر المختلفة، مروراً بالبواخر الخصوصية الى الشراعية. فجلست ساره على حافة لتراقب منها قدوم ورحيل البواخر، والهواء يدغدغ شعرها ويجعل خصله تتطاير

والشمس تحرق كتفيها، على نغم صوت رجل باهامي يغني الكاليبسو، الغناء الوطني. وبينما كانت تتبع بنظرها باخرة تجتاز الخليج باتجاه جزيرة هوغ، سمعت صوتاً يناديها:

- هاي، أنت، فوق، اربطي لي هذا، أرجوك.

وشعرت بأن ربطة حبال وقعت على ركبتيها آتية من مركب وصل الى المرفأ... فلما فهمت ساره ماذا حدث، لم تر من الرجل الاّ ظهره القوي العضلاتْ من خلال غرفة قيادة المركب. لم تكن تعرف كيف تربط حبال المركب فحاولت جهدها.

- لا ليس هكذا.

كان الرجل قد قفز ووقف أمامها، أسمر البشرة، عيناه رماديتان باسمتان وجلده غامق لوحته الشمس..

- أعتذر... فأنا لا أعرف...

- سأعلمك.. انظري، هكذا.

أخذ الحبل وأراها كيف تربطه ثم سألها بعدما استعاد وقفته:

- لست معتادة على البواخر، اليس كذلك؟

- لا لأنني لم أركب باخرة في حياتي.

فضحك وأعاد ترتيب قميصه الازرق الباهت على صدره القوي ونظم سرواله الذي ناله بياض ملح البحر.

- انه اعتراف مخجل في هذه البقعة من الارض. فالباهاميون يعتبرون من أفضل بحارة العالم. يخافون من خيالهم، لكن البحر لا يخيفهم فيه شيء. فالصبي هنا يركض كيلومترين اذا تخيل ان شبحاً يتبعه بينما يفرح اذا اجتاز عاصفة بحرية هائلة.

اخرج الغريب علبة سكائر أميركية من جيبه وقدّم واحدة الى ساره:

- شكراً، لا أدخن.

وبينما هو يشعل سيكارته، استطاعت ساره ان تتأمّله وتتفحّصه. كان يبدو انكليزياً في الثلاثين من عمره ولكنه امضى بلا شك ايام حياته في الهواء والشمس. تجاعيد صغيرة بيضاء بدت حول عينيه... وقاطع أفكارها سائلاً:

- أهذا اليوم الأول لك هنا؟
- نعم، كيف عرفت؟
- عرفت ان طائرة حطت اليوم من لندن... هذا ما فضحك.

ووضع يده السمراء على مقربة من يدها التي لم تر الشمس منذ زمن فبدت بيضاء باهتة...

- يجب ان تجلبي نظارات الشمس أو قبعة فهذا النور يسبب وجعاً في الرأس لغير المعتادين عليه.

فأجابت ساره:

- نسيت نظارتي السوداء في الفندق. فعلاً هذه الشمس محرقة... آه.. هل ذهبت قبلاً الى جزيرة غرين ترتل؟
- نعم، طبعاً. انها في شمالي اباكو. هل يهمّك أمرها؟ وسألها مازحاً: هل اعطاك احد طريقة للعثور على كنز فليبستري؟
- لقد قرأت اسمها في دليل الطائرة. هل هناك كنز فعلاً؟
- من يدري؟ يمكن الحصول على كنوز في أي جزيرة. عندما كنت طفلاً، كنت امضي وقتي في التنقيب والنبش. ما زال هنالك الكثير من المناطق غير المنقب فيها... حيث يمكن العثور على أي شيء.
- من المؤكد أنّ تمضية الطفولة في مناطق كهذه شيء رائع... أود لو أجد الوقت لرؤية هذه الجزر المتوحشة.
- المخاطرة جميلة بالنسبة اليك واكتشاف الغابات مغرٍ، ولكنّ الاناس المعتادين على الرفاهية يضجرون بسرعة. بعض السياح يسعون الى أماكن كهذه، لكنّهم بعد يومين يتعبون ويسعدون بلقاء

جديد مع المخازن وملاهي الليل.

خيّل الى ساره انه تعوّد على نوعية معظم زائري ناسو وتساءلت اذا كان يعتبرها ابنة مدللة من المجتمعات الراقية فلم ترق لها هذه الفكرة ووجدت نفسها تقول:

- السبب بلا شك هو ان معظمهم متقدمون في السن.
- ممّا يعني من الثلاثين وما فوق بنظر ابنة السابعة عشرة مثلك.
- لست في السابعة عشرة بل في الثانية والعشرين.

وما أن لفظت ساره هذه الجملة حتى علا خدّيها احمرار خجل لانها تذكّرت بأنها أفصحت لمجهول بأشياء شخصية... حتى في ناسو التكلّم مع مجهولين غير مرغوب فيه، فقالت بلهفة:

- يجب ان اعود الى الفندق... الى اللقاء.
- في أي فندق تنزلين؟...

طرح عليها هذا السؤال وهو يمشي معها بكل بساطة فلم تستطع الاّ ان تجيبه بالبساطة ذاتها.

- هل يعجبك هذا الفندق؟
- نعم، كثيراً، فعندنا منظر رائع على الخليج.
- اذا أردت تأمّل منظر جميل فعليك الصعود الى فورت فنكاسل.

وتابع ممازحاً:

- اثنان وعشرون عاماً، انها فعلاً سن متقدمة.

ما كاد ينهي جملته حتى خرج صبي اسود مجعد الشعر من شارع فرعي، واصطدم بساره حتى كاد يرميها ارضاً، لو لم يمسك بها رفيقها من خصرها ويسندها. فشعرت الصبية الشابة بحرارة هذا الرجل القوي وتمتمت وعلى شفتيها ابتسامة مترددة:

- شكراً، لو كانت الضربة أقوى، لوقعت أرضاً.

لمّا وصلا الى الشارع العام، ودّعته مجدّداً وتوجّهت الى الفندق.

ولمّا التفتت وراءها بضعة أمتار، شعرت بالحرج اذ رأت عيني الشاب المجهول تتبعان خطواتها، فشعرت بالقار في خديها وعجّلت في سيرها.

ـ بالله عليك اين ذهبت؟

ـ نزلت الى المرفأ. اعذريني يا أنجيلا ولكن النوم كان مستحيلاً عليّ، ثم ما الذنب الذي ارتكبته؟

ـ الامر يتوقف. أتمنى الا تكوني قد تكلّمت مع احد؟

ـ رجل واحد فقط جاء يربط مركبه قرب المكان الذي جلست فيه ولا أمل من ملاقاة هذا الشاب في الفندق هنا.

ـ من غير المسموح به ان تنزلي لوحدك خاصة وأني حدّدت أننا سننزل معاً في المساء.

ـ أنا لم أهرب من الفندق. لا تنسي انها عطلتي أنا ايضاً.

فهمت انجيلا ان لهجتها الشديدة لم تكن في موقعها فحاولت تخفيف حدّة الحوار:

ـ اعتذر منك فأنا متوترة الاعصاب لأني لم اجدك عندما استيقظت فخطرت على بالي الف فكرة وفكرة.

ـ اي نوع من الافكار؟

ـ آه.. أنت تجهلين نفسك، تتعرفين على أشخاص وتقيمين معهم علاقات صداقة وتخبرينهم قصصاً... لم يكن لهذا اهمية في لندن، لكن هنا الأمر مختلف.. اذا شكّ احد بوضعنا الحقيقي، لاعتقد بأننا نبحث عن المغامرة.

فأجابت ساره:

ـ ونحن مغامرتان في الواقع.. أنت.. أنت لن تكذبي على الناس بكل بساطة... أليس كذلك؟

ـ لا يا حبيبتي لأنّ احداً لن يطرح علينا الاسئلة مباشرة. فيكفي

ان ندّعي ان هذه هي طريقة عيشنا العادية الطبيعية.

ـ يبدو لي هذا غير صحيح. لماذا يتوجّب علينا الادّعاء؟

ـ يا الهي كم انت بسيطة. الا تفهمين ان نخبة الناس يعيشون في دوائر مقفلة لا يخترقها الّا من هم فيها؟

فردّت ساره بحزن:

ـ لا أدري اذا كنت أود فعلا دخول عالم هذه النخبة وهذا المجتمع.

ـ أما أنا فأريد ذلك. هيّا اذهبي واستحمّي الآن. سأبدأ أنا بتزيين وجهي وسأرتدي فستاني الموسلين الاخضر، وأقترح ان ترتدي انت فستانك الحريري الأبيض... وبهذا تكمل احدانا الاخرى.

وانتهت ساره من ارتداء ملابسها بينما كانت انجيلا ترتب رموشها. لم يكلّف فستانها الحريري الابيض مبلغاً كبيراً لكنه كان بسيطاً لدرجة تغش الناظر اليه فيفكر ان دار أزياء كبيرة صممته، وهو عبارة عن صدر ضيق بلا أكمام وتنورة واسعة مثنية. وانتعلت ساره معه صندلاً بنفسجياً وتحلت بحلق من اللون نفسه ورثته عن امها.

لم تتذمّر ساره من انتظار اختها على الشرفة لمدّة ساعة لأنّ المنظر كان جميلاً يضج بالناس والحركة. ولمّا دخلت الغرفة لم تستطع الّا ان تبدي دهشتها عند رؤية جمال اختها وروعة تصفيف شعرها على شكل تاج، وقوامها الرشيق المغطى بالموسلين، فصرخت:

ـ آه.. أنت رائعة.

فأجابت انجيلا وهي تنظر الى ظهرها العاري في المرآة:

ـ أرجو ذلك، لكن هنالك خطر المنافسة فأنت لا بأس بك ابداً يا حبيبتي. فاذا استطعت تمالك نفسك واذا برهنت عن ثقة في النفس،

لاستطعنا ادهاش الجميع.

وبينما هما تنزلان الى قاعة السهرة، شعرت ساره بنفسها متضايقة وطالما فضّلت العودة والمكوث في غرفتها.

كانت قاعة السهرة مليئة عندما وطئت أنجيلا عتبة الباب وساره وراءها بقليل. وفجأة صمت الحضور هنيهة ونظر الموجودون الى الفتاتين فاضطربت ساره وافتعلت اضاعة شيء ما أخذت تبحث عنه في حقيبتها. بعد ذلك تقدّمت انجيلا نحو الكراسي الحمراء الفارغة بهدف الجلوس على احدها وتابع الحضور الحديث بينهم.

وألقت ساره نظرة عامة على وجوه الناس حولها فلاحظت ان معظمهم، كركاب الطائرة، متقدمون في السن ما عدا فريقاً من الشبان والشابات المجتمعين حول طاولة وبعض الشبان وحدهم، هنا وهناك.

كل شيء حتى الآن كان هادئاً وناعماً، وتساءلت ساره وهي تأكل بعض الزيتون الذي وضعه الخادم امامها، عن موعد العشاء فقد فتح الهواء والبحر قابليتها للأكل.

في هذه الاثناء اقتربت من ساره سيدة ممتلئة القوام، زرقاء الشعر، ترتدي ثوباً أبيض مطرز الاطراف، وطلبت من الخادم شراباً بلهجة أميركية واضحة ثم التفتت وتوجّهت بحديثها الى جارتها:

- يا الهي. ما هذا اليوم. ذهبنا هذا الصباح لنقوم بنزهة في الحديقة الكبرى. بعد الظهر أصرّ رونالد وشدّد لكي نزور معاً اعماق البحر وحدائقه في منطقة ليفورد كاي. يجب يا عزيزتي زيارتها بأي ثمن فهي هائلة... يذهب المتفرجون الى اعماق البحار بواسطة بواخر زجاجية شفافة ويتمتعون بألوان لا مثيل لها. عفواً. لا اعتقد اني رأيتك قبلاً. هل وصلت اليوم؟

لم تجد ساره جواباً اذ ادهشها هذا الكلام الكثير، وأثّر على رأسها

مفعول عطر هذه المرأة الغريبة، فاكتفت بالابتسام.

- آه، انت انكليزية. لقد زرنا انكلترا السنة الماضية خلال دورتنا حول اوروبا وقد اعجبتني كثيراً. كل شيء في بلدك جميل وهادىء كأننا في عالم آخر... سأعرفك على نفسي: اسمي اميلي ستيفنست.

ألقت ساره نظرة على أنجيلا لتحاول معرفة ردّة فعلها على تصرّف هذه السيدة وردّت بأدب:

- تشرفنا بمعرفتك. اسمي ساره غوردون وهذه اختي أنجيلا.

- آه. ها هو رونالد.

وأومأت السيدة بيدها متجهة بنظرها نحو شاب طويل بلباس سموكينغ حاد عن الباب ليترك الممر لسيدتين أنيقتين. وما أن اقترب من امه حتى قالت الاخيرة:

- هذا ابني رونالد. رونالد، أقدم لك الآنستين انجيلا وساره غوردون. وصلتا اليوم من انكلترا.

رونالد ستيفنست شاب عمره بين ٢٥ و٣٠ عاماً. لم يكن جميل المظهر بشعره الاحمر ونظاراته الكبيرة لكن ابتسامته الجذابة جعلته ينال اعجاب ساره مباشرة. بعد الانتهاء من تقديم ابنها الى الصبيتين قالت السيدة ستيفنست:

- رونالد، عندما كنا في لندن، التقينا بالسيد والسيدة غوردون. هل تذكر؟ وأنا متأكدة من انهما كلمانا عن ابنتيهما. كان ذلك في وستبوري.. فهل من الممكن ان تكونا انتما الابنتين؟ يا للصدف...

فتمتمت ساره:

- ان والدينا متوفيان للأسف.

- أنا آسفة. اعتذر. لقد اخطأت بسؤالي... اذن، انتما

لوحدكما؟ رونالد، الا تؤمن بشجاعتهما؟ فتاتان صغيرتان لوحدهما. . . اذن، والحالة هذه، ستتعشيان معنا الليلة فأنا أعرف كم هو صعب النزول في فندق لا تعرفان احداً فيه.

تساءلت ساره عن الطريقة التي ستتخلّص فيها انجيلا من هذه الدعوة وتعجبت عندما رأتها تجيب بابتسامة عريضة:

ـ انه لطف كبير منك يا سيدة ستيفنست ولكي اكون صريحة معك نحن نشعر ببعض الضياع فهي المرة الاولى التي نسافر فيها لوحدنا. . فالسنة الماضية. . .

قطعت انجيلا حديثها وعضت على شفتها محنية رأسها بينما فاضت شفقة السيدة ستيفنست.

ـ يا لها من كارثة محزنة. أفهمكما جيداً واعي رغبتكما في ترك اوروبا في هذه الفترة من السنة. وهذا تماماً ما فعلته عندما فقدت السيد أوتاواي، زوجي الاول. . . رجل طيّب، كريم. كان علي ان اطير فوراً الى هاواي لانسى الصدمة. . . علينا الآن ان ننسى هذه القصص المحزنة وان نتعلّم كيف نعيش معها ونتطلع الى المستقبل الأفضل. أليس كذلك؟

خلال العشاء تبادلت أنجيلا أحاديث عديدة مع رونالد بينما تحمّلت ساره احاديث السيدة ستيفنست الكثيرة وهي تروي وتسلسل حياتها وتأكل في الوقت ذاته وجبة دسمة من الاطباق المحلية التي ارادت تقديمها للصبيتين.

بعد العشاء كانت السيدة ستيفنست وابنها متواعدين مع اصدقاء اميركيين ليذهب الجميع الى نادٍ ليلي في احد الاحياء الوطنية. فقالت انجيلا بعدما وجهت السيدة ستيفنست لهما الدعوة:

ـ انها فكرة رائعة. كنّا نودّ الذهاب معكما لكن ساره تشعر بنوع من الارهاق منذ مدة وعليها ان تنام باكراً. فالنوم في الطائرة لا

يكفي، اليس كذلك؟

نظرت السيدة ستيفنست الى ساره:

ـ خيّل الي انك متعبة ونحن نتناول طعام العشاء فأنا حساسة لكل ما يصيب احداً حولي. فعليك ان تفعلي ما نصحتك به اختك الكبرى. لا شيء أفضل من النوم لاسترداد العافية. في هذه الاثناء وجّهت انجيلا ركلة الى رجل اختها التي فهمت دورها ولعبته دون نقاش:

ـ لكنك ستذهبين انت يا أنجيلا، اليس كذلك؟ أنا متأكدة انك لست متعبة.

ـ طبعاً لا يا حبيبتي لكني لن اتركك وحدك. سننام معاً باكراً هذا المساء.

ـ لا داعي لذلك، فأنا متأكدة انك تحبين الذهاب. اقنعيها أرجوك يا سيدة ستيفنست.

ـ أجل، تعالي معنا يا أنجيلا فستنزعج اختك اذا عرفت انها السبب في حرمانك من السهرة.

فكرت ساره في نفسها والغضب يكاد يخنقها: احقاً؟ انتظري يا انجيلا حتى تعودي من سهرتك. . .

ـ اذا كنت متأكدة من عدم ضرورة وجودي بجانبك يا ساره. . .

ـ طبعاً لا ضرورة لذلك يا حبيبتي. . والآن عن اذنكم.

ما ان وصلت ساره الى غرفتها حتى تركت العنان لغضبها. . . فبعثرت احذيتها في زاوية الغرفة ورمت بنفسها على السرير. لم تفهم قصد اختها بهذا التصرّف ولكن مهما كان هذا القصد، فعلى انجيلا ان تقنعها! وهمّت بالخروج وحدها. . . لكنها بعد التفكير فهمت ان ناسو مدينة من غير المستحسن ان تخرج فيها فتاة بمفردها في المساء. فعلّقت ثيابها بتأن وارتدت ثياب النوم.

كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلاً عندما دخلت عن الشرفة ولم ترجع انجيلا من سهرتها الّا بعد ذلك بساعتين. فما كان من ساره الاّ ان اضاءت الضوء الصغير المجاور لسريرها وقالت:

ـ أتمنى ان تكوني قد أمضيت سهرة ممتعة.

ـ آه... أنا آسفة يا حبيبتي، خفت ان ازعجك.

ـ تزعجينني؟ بصراحة أريد ان اصرخ من الغضب... انجيلا انت...

ـ اسمعي. لقد تصرّفت هكذا من أجل مصلحتنا. لم اكن اريد حرمانك من السهرة... ستكون هنالك أفضل منها... على العموم تعرفت على شاب ملائم جداً لك.

ـ شكراً جزيلاً على طيبتك التي اخجلتني.. هل لي الآن ان اسألك لماذا تصرّفت هكذا؟

لماذا جعلتني مريضة وطفلة بحاجة الى نوم؟

ـ لأني لم ارد ان تغرقك اميلي في بحر من الاسئلة. فالواقع انّها بمجرّد الانتهاء من قصة حياتها، ستبدأ بالاستفسار عن حياة الآخرين.. فوددت ان تطرح الاسئلة عليّ اولاً... على فكرة... ستتناول الغداء معها ومع اصحابها غداً. لقد بدأنا أفضل مما كنت أتوقع.

ـ ظننت أنك ستتخلّصين منهم... فهم لا يعطون انطباع النخبة من المجتمع.

ـ انهم ليسوا أفضل وأرقى العائلات الاميركية. هذا ليس هدفي... ألم تري الماس في يديها؟

ـ انه يشبه البحص النهري.

ـ غريبة انت يا ساره... لا تفرقين بين الياقوت والزجاج الاحمر... انه ماس رائع.

ـ أنجيلا، لا تهدفين الى القاء شباكك على رونالد؟

ـ انه لطيف واعتقد اني اعجبه... لكني اود دراسة الاحوال كلها قبل القرار... غيره اقلّ جمالاً... رونالد لا بأس به.

نظرت ساره بقلق الى اختها وهي تخلع ملابسها وتزيل مساحيق التجميل عن وجهها. بدت انجيلا اقسى قليلاً من السابق ممّا خلق عند ساره شعوراً بالكارثة القريبة.

٢ ـ اللـقاء

استيقظت ساره في الساعة السادسة. . . فمنذ خمسة عشر يوماً، كانت تحلم بالنوم العميق، دون التفكير بهمّ تنظيف البيت. أما اليوم وبما أنها ليست مضطرّة للقيام باكراً، شعرت بنشاط وجرأة غريبة لبدء نهار جديد.

كانت أنجيلا قد أخبرتها بأنهم سيحضرون الشاي الى الغرفة في الساعة الثامنة، فقرّرت ساره النزول للسباحة لأن المدينة ما زالت هادئة، ولأن لديها ساعتين من الوقت قبل الفطور. وتركت هذه المرة لشقيقتها كلمة على طاولة الغرفة تعلمها بمكان وجودها.

خرجت ساره من الغرفة بهدوء حاملة منشفة البحر وثياب السباحة تحت ملابسها، لم يكن في الفندق حوض سباحة لكنها

سمعت السيدة ستيفنسن تقول ان الجميع يذهبون الى مسبح بارادايس بيتش على جزيرة هوغ. وبما أن مكتب استعلامات الفندق كان مقفلاً، لم تجد ساره أحداً يدلها على كيفية الذهاب الى المسبح.

اتجهت الصبية نحو المرفأ باحثة عن أحد يدلّها ووجدت نفسها في المكان الذي جلست فيه البارحة والمركب الابيض فلامنكو أمامها، راسياً في النقطة ذاتها. . . فعرفت أن المجهول الرمادي العينين ما زال في ناسو وخفق قلبها خفقة غير عادية.

ـ هل تبحثين عن مركب أو وسيلة تنقلك الى الشاطىء؟

قفزت ساره وأدارت رأسها وفتحت عينيها على وسعهما عندما عرفت من يكلمها. . . كأنه المارد خرج من المصباح. . . فكرت فيه فحضر.

ـ خدمة بواخر الفندق تبدأ في السابعة لكني وللصدف، كنت أنوي الاتجاه الى الشاطىء، تستطيعين المجيء معي.

ـ آه. . . شكراً جزيلاً. . .

أخذ الغريب حقيبة ساره وقفز بها الى المركب وبعد ما وضع الحقيبتين مدّ يده لضيفته ليساعدها على الصعود الى المركب فشعرت ساره للمرة الثانية بيديه الكبيرتين الدافئتين على خصرها.

بعد عشرين دقيقة، ركضت ساره على الرمال ورمت نفسها في المياه الخضراء المشعة. كانت ترتدي لباس بحر أصفر أجبرتها أختها على شرائه اذ كانت تفضل شراء لباس اكثر حشمة.

وبعد استمتاعها بالسباحة مدة نصف ساعة، غير مكترثة لوجودها مع هذا الغريب، اكتفت بنشوة الرياضة الجسدية في هذه المياه الدافئة الهادئة. وخرجت من الماء لترى مرافقها يجلس على الشاطىء بجانب ترموس زرعه في الرمال. فصرخت ساره بعد ما

نزعت قبعة السباحة:
ـ آه، رائع... من غير المستغرب أن يسمى هذا الشاطىء بارادیس.
فقدّم لها الشاب فنجاناً من القهوة اخذته وقالت بعد ما غطّت ظهرها بمنشفة أمسكت ببعض الرمال بيديها:
ـ لماذا لون الرمل زهري هنا؟
ـ لانه من المرجان المقشر. يجب أن يكون أحد أجدادك من رموز البحار، فطريقة سباحتك رائعة.
ـ تعلمت السباحة في سن صغيرة جداً، وأنا أعشق البحر، لكن التمرين ينقصني، فقد توقفت منذ سكنّا لندن.
فسألها الغريب بعد ما قسم بينهما ما تبقى من قهوة:
ـ الا تعتقدين أن الوقت قد حان لنتعرف على بعضنا؟ اسمي ستيفان راند.
ـ وأنا، ساره غوردون.
ـ ساره... اسم يليق بك. فبالرغم من لباس السباحة المتعجرف الذي ترتدين، والطلاء الذي يخفي أظافرك، تبدين خجولة ورصينة.
فشعرت ساره بالحرارة تصل الى خدودها لكنها تابعت محاولة ادعاء اللامبالاة:
ـ خجولة ورصينة؟ تعبيران قديمان جداً.
ـ تعبيران قصدت أن أمدحك بهما. ففي ناسو، نسأم من الاناس المتعجرفين الفارغين.
ـ هل تأتي كثيراً الى هنا؟ اعتقدت أنك تسكن الجزر الصغيرة.
ـ بيتي في فلامنكو كاي، لكني أشتغل في ناسو.
ـ فلامنكو كاي... اسم جميل لجزيرة، لم أر بحياتي دواساً زهري

اللون، الاّ في السينما طبعاً...
وابتسمت ساره وكأنها تذكرت حادثة معينة وأكملت:
ـ هل تعتقد أن الدواس عصفور ناعم؟
فرفع حاجبيه علامة النفي:
ـ طبعاً لا. انه من نوع العصافير الفائقة الاناقة والترفع.
بعد ذلك حدثت ساره ستيفان عن السيدة ستيفنسن بدون قصد الاساءة ولكن فقط لانها أرادت أن يشاطرها تسليتها، ففرحت عندما رأته يقهقه بصوت عال بعد ما أخبرته عن وصف السيدة الاميركية لحدائق ما تحت البحار وخاصة ليفورد كاي وصندوق مجوهرات رمز البحر.
ـ لا أريد أن اكون شريرة فالسيدة ستيفنسن سيدة فاضلة فعلاً، لكني لا أستطيع تمالك نفس من الضحك عندما أفكر بأنها قامت بدورة في أوروبا في ثلاثة أسابيع وتعتقد أنها تعرف كلّ شيء.
ـ أنا أعرف هذا النوع من الناس جيداً. في الواقع، أفضل طريقة لمعرفة أعماق البحار هي الغوص، هناك نزهات بحرية منظمة توصلك الى الصخور تحت سطح البحر، فبواسطة قناع وجهاز تنفس، تستطيعين الغوص والتنزّه تحت الماء لساعات وساعات. هناك باخرة لهذا الغرض، تبحر من أمام فندقك بعد الفطور.
ـ رائع، سأذهب. ولكن... لا... فقد اتفقت مع اختي أن نتناول طعام الغداء على متن لست أدري أية باخرة أميركية. يا لسوء الحظ، ويا له من عبء ثقيل.
ـ لا بأس فقاع البحر لن يهرب واليخوت الكبيرة تروح وتجيء بلا توقّف، ستكتشفين الأعماق مرّة ثانية.
ـ بالرغم من كل هذا، أفضّل الذهاب الى الصخور المائية.
وقف ستيفان ومدّ يده لساره.

- هيا بنا، يجب أن نعود الآن والّا قلقت عليك أختك.

- تركت لها كلمة على الطاولة أعلمها أين أنا. . . أرجوك أن تنتظرني دقيقة واحدة فقط لارتدي ملابسي فنزلاء الفندق لا يحبّذون فكرة التنزه بلباس بحر مبلل.

احتاجت ساره لدقيقة احدة لتختفي وراء شجرة نخل لتخلع لباس البحر وعندما عادت كان ستيفان قد ارتدى سرواله وقال لها بعد ما اصبحا في المركب:

- اذا أردت أن تسبحي غداً صباحاً، فسأمرّ حوالى السابعة. معظم الناس يمضون سهراتهم في النوادي الليلة وينامون قبل الظهر لذلك تكون الشواطىء خالية في هذه الساعة.

- شكراً لهذه النزهة وللقهوة.

- رفقتك تشرفني. ويوماً، عندما تتخلصين من ارتباطاتك على اليخوت والبواخر، سآخذك واعرّفك على جزيرتي.

- انتظر هذا بفارغ الصبر. . . هل هي فعلاً لك؟

- نعم، تستطيعين أنت استئجار جزيرة اذا أردت بشرط ان يكون فيها ماء صالح للشرب. واذا كنت لا تخافين من نظام أكل يقتصر على الاسماك وفواكه البحر، بامكانك العيش بثمن بخس جداً في كوخ من قش سطحه من النخيل.

- يا ليت. . . أرجو ذلك. ولكن عندما ينتهي المال الذي معنا. . .

تمتمت ساره هذه الجملة وعرفت خطأها فاستطردت بصوت عال لتغطي أثر ما قالته:

- هذا مشروع عظيم، لكن من غير المعقول أن ينقطع الانسان مرّة واحدة عن الحضارة فأنا لا اتخيّل نفسي اعيش وحيدة أبدياً، بلا كتب ولا موسيقى مثلاً.

- تستطيعين ايجاد رفيق لك، ثم تستطيعين أخذ الكتب والراديو معك.

- اذا كان هذا معقولاً بنظرك، فلماذا لا تمضي كل وقتك على جزيرتك؟

- لأنني مثلك، بحاجة الى رفيقة. فحتى الآن لم أعثر على فتاة تقبل بغسل الثياب في الساقية، ويطبخ الأكل على نار الحطب. . . كلهن في انحدار مستمر، يتوقف مصيرهن على الغسالة الكهربائية والطباخات الالكترونية.

عندما وصلا الى المرفأ، استطاعت ساره رسي السفينة كما يجب أو بالأحرى كما علّمها ستيفان عند أول لقاء لهما فقال لها وهو يناولها حقيبة البحر:

- الى اللقاء غداً، واستمتعي بوقتك مع الاميركيين الاثرياء.

دخلت ساره غرفتها في الثامنة إلّا خمس دقائق، وبينما أنجيلا ما تزال نائمة. ولم تتذكّر ساره كلمات ستيفان الّا بعد ما رمت الورقة التي تركتها لاختها. عليها أن تعود باكراً كي لا تشغل بال اختها. . . وبينما أخذت تغسل لباس البحر، انتبهت أنها لم تكلمه عن أنجيلا. . . فكيف عرف أنّ لديها اختاً؟

أحضرت موظفة الفندق الشابة الشاي والكعك والبرتقال المقشر للفتاتين فشكرتها ساره. وبدأت تسكب لنفسها الشاي عندما استيقظت أنجيلا ومطّطت جسمها كالهرة:

- آه. . . هذه هي الحياة الحقيقية.

- لقد عدت الآن من البحر حيث سبحت.

- يا الهي. في هذه الساعة؟ هذا جنون فعلاً.

- البحر كان دافئاً.

- حتى ولو كان دافئاً. أنا لا أبلل لباس البحر وشعري لا يحتمل

أمضت الفتاتان قبل الظهر في التنقل بين المخازن الأنيقة وزيارة السوق في الهواء الطلق، الذي أعجب ساره أكثر من محلات باي ستريت. فاشترت لنفسها قبعة كبيرة من القش بينما اهتمّت أنجيلا بفرق الاسعار بين ناسو ولندن فاشترت لنفسها عطر الجزر.

كان يخت بلبيكر في عرض شاطىء «الحب» في الناحية الشمالية الغربية. فقاد رونالد الصبيتين في سيارة الكاديلاك التي استأجرها، جلست أنجيلا بقربه، وساره في الخلف قرب السيدة ستيفنست التي ارتدت ثوباً يتناقض مع عمرها، وغطت نفسها بالمجوهرات. كان شاب باهامي بانتظارهم لينقلهم الى اليخت. وهم في طريقهم، كانت الضحكات تلي بعضها والضجيج يعلو من اليخت الراقي. فذهبت أفكار ساره في جو النزهة الحلوة التي توصلها الى أعماق البحار والتي تخلّت عنها بسبب هذه الحفلة.

أتى معظم المدعوين ساعة ابتداء المشروب وبعد قليل لم يبق الآ خمسة أشخاص فقط: السيد بلبيكر السمين البشوش في قميص من هاواي وقبعة بحرية، وزوجته وابنها جو وابنتها دولوريس. كان هناك أيضاً رجل اسمه بيتر لازلو لم يتضح سبب وجوده. ويتكلم بلهجة أوروبا الوسطى. ولاحظت ساره خلال الغداء أنه كان لطيفاً ومع كل السيدات الموجودات دون أن يوجه كلمة واحدة الى أنجيلا.

بالرغم من توقعات أنجيلا، لم يكترث السيد بلبيكر بساره تماماً كعدم اهتمامها هي به. عند الساعة الرابعة، وبما أن أحداً لم يهم بالذهاب، اعتقدت ساره أن انسحابها لن يؤثر على أحد، ولن يلاحظه أحد، فذهبت تسبح لوحدها على الشاطىء القريب وبعدها جلست على الرمال واضعة يديها على ركبتيها. كان الماء نقياً هادئاً كالزيت، مال لونها الى الليلكي في المنطقة التي غطتها ظلال اليخت.

أغمضت ساره عينيها ووضعت خدها على ركبتها لترتاح لكنّ صوتاً ما جعلها تفتحهما من جديد. واذ بيتر لازلو يقترب منها سائلاً بابتسامة:

- هل يضجرك الاميركيون يا آنسة غوردون؟

- لا، لا أبداً، انهم لطفاء، لكنني شعرت برغبة في المجيء الى هنا.

- هل تسمحين لي بالجلوس معك؟ أو تفضلين البقاء وحدك؟

فأجابت بأدب:

- أرجوك، تفضل.

فتناول علبة الدخان من جيب البنطلون القصير الذي كان يرتديه.

- أعتقد أنك لا تدخنين.

وجلس قربها بعد ما أشعل سيكارته غير أنها كانت الاولى التي تقطع الصمت بينهما.

- من أي منطقة من أوروبا أنت يا سيد لازلو؟

- كنت من هنغاريا... أما الآن فأنا بدوي رحال اذا صحّ التعبير...

- أعتذر لأني سألتك هذا...

فأدار رأسه وحاول معرفة ما وراء أفكارها.

- لماذا الاعتذار يا آنسة غوردون؟

فاحمرّ وجه ساره:

- لأنك فقدت بلدك.

فأجابها وهو يحرّك يده باتجاه البحر:

- ألا تعتقدين ان كل هذه الشواطىء وهذا النخل والبحر الرائع... أليس كل هذا أفضل من شتاء أوروبا الوسطى؟

- أنا... لا أعرف.

ـ هذا لا شك فيه، فالانسان يجد هنا كل ما يشتهيه وكل ما تقدمه الدنيا.

قال هذا ونظر بعيداً في الافق فحاولت ساره تأمله لتعرف اذا كان فعلاً بهذه السطحية واللامبالاة أو ان كلامه ادعاء.

ـ في الجزر الصغيرة ربما، لكني لا أفكر هذا عن ناسو، ومع ذلك فنشوة الشمس ليست كل شيء.

أجابها بنوع من السخرية:

ـ حقاً؟ ماذا تطلبين من الحياة غير ذلك يا آنسة غوردون؟

ـ لو كنت رجلاً لشعرت بوجوب القيام بعمل ما، بعمل يهمني.

ـ أتعتقدين ان التسلية الدائمة هي نوع من الانحطاط؟

ـ انحطاط وضجر...

ـ أودّ لو شاطرتك الرأي لكن بالنسبة إلي، المضجر هو العمل بالدرجة الاولى.

ـ ماذا تفعل في الدنيا؟

فرفع كتفيه مبدياً عدم الاكتراث:

ـ أعطي دروساً في التزلج المائي وقد كانت الاميركية الصغيرة تلميذتي. وأنت يا آنسة غوردون، ماذا تفعلين؟ أنا متأكد من أنك لا تتسلّين كل الوقت.

احرج سؤاله ساره لان أنجيلا أنذرتها من ضرورة عدم التكّلم عن حياتها في لندن. فحاولت تغيير مجرى الحديث.

ـ لا شيء جدير بالذكر. فبالنسبة للنساء، الزواج هو أحلى مهنة، ألا تعتقد ذلك؟

فنظر اليها قبل أن يبتسم ويجيب:

ـ نعم، أعتقد هذا فيما يتعلق بك.

لم تعرف ساره كيف تحوّر جوابها، لذلك فضّلت تغيير الحديث

والموضوع:

ـ كلّمني عن التزلج المائي. هل هو صعب التعليم؟

ـ هذا يتوقّف على التلميذ. فبالنسبة الى فتاة مثلك لا تخاف الماء، تتعلّمين التزلج المائي بعد درسين أو ثلاثة. بعد ذلك يجب ممارسة هذه الرياضة للتمكن منها والقيام بحركات طموحة.

هل تودين أن تجربي يوماً ما؟

طالما أرادت سارة التزلج كالهواء أمام مركب سريع. كان عرضه فكرة رائعة لكنها خافت ألا يكفيها المال لأكثر من درس واحد، لذلك أجابت بنوع من اللامبالاة:

ـ أخشى ألاّ يكون لدي وقت للتعلّم فالذي أريده فعلاً هو الغوص في أعماق البحر.

ـ فعلاً... هذا منظر يجدر اكتشافه.

وارتاحت ساره لأنها ابتعدت عن المواضيع الشخصية لكن السيد لازلو سرعان ما أعاد الحديث عن حياتها الخاصة قائلاً:

ـ أنت مختلفة جداً عن شقيقتك يا آنسة غوردون. لا أتكلم عن جمالها فأنت لديك جاذبيتك الخاصة. أنا أقصد فرق النفسية، فهذا يهمني.

ـ تتكلم وكأنك عالم نفسي. الفرق بيننا غير مستغرب. أنجيلا تشبه امنا وأنا أشبه أبينا.

ـ هل والداكما معكما هنا؟

ـ لا، نحن هنا وحدنا.

وتمتمت ساره وهي تهمّ بالوقوف:

ـ والدانا متوفيان... علينا أن نعود الى اليخت، فربما أراد الباقون الانسحاب بعد قليل. وسبحت ساره عائدة وهو يتبعها.

ـ اذا غيّرت رأيك بالنسبة الى تعلم التزلّج المائي، أنذريني فيسرّني

ان اعلمك.

لمّا صعدا على متن اليخت، لاحظت ساره أن أنجيلا غاضبة لكنها لم تعرف اذا كان انسحابها هو السبب أو اذا كان قد حصل حادث ما في غيابها.

أوصلت عائلة ستيفنسن الفتاتين الى ناسو في السادسة وعرفت سارة في الطريق أن سهرة راقصة تقام مساء في الفندق حيث يرقص النزلاء على الشرفة الكبيرة غير أن حفلة كبيرة كانت تقام مرتين في الاسبوع مع اوركسترا واستعراض.

وعندما دخلت الفتاتان غرفتهما، قالت أنجيلا لأختها:

ـ حقاً يا ساره، أنت جافة وفظة الطبع. كيف تذهبين بعد الظهر دون استئذان؟

ـ اعتقدت أن أحداً لن يلاحظ غيابي.

ـ وكنت أيضاً وقحة مع بلبيكر الشاب.

ـ أبداً. لكنه لم يعجبني... هذا كل ما في الأمر.

ـ اتصوّر انك تفضلين لازلو البشع.

ـ بالتحديد.

ـ أنت فعلاً غريبة وغير معقولة. أنت أسوأ من الأطفال... يجب أن تعرفي من هو.

فردت ساره مرتبكة:

ـ ماذا تقصدين؟

نظرت اليها أنجيلا بطريقة يائسة وقالت:

ـ الأمر واضح. هذا النوع من الرجال موجود دائماً في أماكن مماثلة، فهو يتبع الاغنياء... ويعيش على حساب النساء.

ـ ما هذه التفاهة؟ ما هذه الفكرة؟ قال لي انه استاذ في التزلّج المائي.

ـ وعرض عليك دروساً... أنا أراهن على ذلك...

ـ بالفعل، ذكر ذلك.

ـ أيتها الحمقاء. طبعاً ذكر ذلك. فهو يعتقد أنك مثل تلك الاميركية الصغيرة، ابنة رجل يمشي على الذهب. فالفتيات الصغيرات مثل دولوريس بلبيكر هن الضحيات المثاليات، فهي تنفق كل مصروفها لتشتري له هدايا. واذا كانت أكبر سناً، لأقنعها بأنها مغرمة به وسحب منها ومن والدها أموالاً كثيرة.

نظرت ساره الى اختها بدهشة، متأثرة بالاسلوب وبنمط صوت أنجيلا السام أكثر منها بالتعابير المستعملة. فحتى لو كانت شكوكها صحيحة، لماذا تحكم بهذه القساوة على الرجل؟

عندما نزلت الفتاتان في المساء، كان المكان مهرجاناً من الفساتين المتعددة الألوان والتطريز اللماع والمجوهرات البراقة. اختارت أنجيلا ثوباً من الساتان المطرز الأكتاف، وارتدت ساره فستاناً من الاورغندي الأصفر.

وقف رونالد ستيفنسن الذي كان جالساً مع والدته ليستقبل الصبيتين. أما والدته فعدا عن مجوهراتها العديدة، وبالرغم من الطقس الصيفي، فقد ارتدت معطفاً من الفراء الأبيض سرعان ما أسندته على طرف كرسيها.

بعد العشاء، دخل الجميع الى قاعة الرقص حيث كانت الفرقة تعزف موسيقى الكاليبسو. وبعد ما طلب رونالد الشراب، صرخت امه:

ـ ها هو السيد لازلو الجذاب. لم يقل لنا بأنه سيأتي... رونالد، اذهب واطلب منه الانضمام الينا. سيكون رفيق ساره فلا عجب في ذلك فأنا أعتقد أنه أتى من أجلها.

وأضافت متوجهة بالحديث الى ساره:

- لاحظت أنه تبعك اليوم الى الشاطىء... لا شك أنك أعجبته.

فاحمرّ خدّا ساره وألقت نظرة الى أختها التي كانت تشعل سيكارة وعلى وجهها تعبير لا يفسّر.

- آه، برافو، لقد نجح ابني رونالد باحضاره الى طاولتنا.

قبّل بيتر لازلو يد السيدة الاميركية بأناقة أعجبتها، ثم ابتسم لساره وهنأها على أناقتها واكتفى بانحناءة بسيطة أمام أنجيلا. وقبل ان يجلس الرجلان، بدأت الفرقة بالعزف فدعا رونالد أنجيلا للرقص، فقالت السيدة ستيفنسن:

- لقد خبّأت علينا نيتك في الحضور هذا المساء يا سيد لازلو.

- لم أكن أنوي ذلك قبلاً، ثم قرّرت في آخر لحظة. هل تودين الرقص يا سيدتي؟

- هذا لطف منك، لكني متأكدة من أنك تفضل الرقص مع ساره... اذهبا معاً فيجب أن يتسلّ الشبان والشابات... أنا افضّل البقاء هنا... لقد تعبت اليوم.

- هل تتفضلين عليّ بهذه الرقصة يا آنسة غوردون؟

تردّدت ساره لكن السيدة ستيفنسن أصرّت:

- هيا، أسرعي، فلا بدّ أنّ قدميك يرقصان سلفاً.

كانا قد دارا حول المرقص مرّة واحدة عندما سأل الهنغاري:

- هل تحبين الرقص يا آنسة غوردون؟

فأجابت ساره:

- لا أمارسه كثيراً.

ارتاحت الصبية عندما شعرت بسهولة اللحاق بخطواته لأنها لم تكن تعرف الكثير عن خطوات الرقص وزاد ارتياحها عندما لاحظت أنه لم يختر الخطوات المعقدّة.

- ألا تخرجين كثيراً في لندن؟

- بلى، لكني افضل الذهاب الى السينما أو المسرح. ماذا تفعل أنت في أوقات فراغك يا سيّد لازلو؟

- أرجوك، نادني بيتر... في ناسو لا وجود ولا ضرورة للاصول، فالجميع في عطلة والوقت يمر بسرعة، فحرام اضاعته بالتعقيدات المماثلة.

تساءلت ساره، اذا كان بيتر حوّر الحديث بهذه الطريقة قاصداً عدم الاجابة على سؤالها... ان وضعه الظاهر كاذب فعلاً، أو أن حكم أنجيلا عليه جعلها تشك في أمره.

- حسناً اذا كانت هذه ارادتك.

- وهل تسمحين بأن اناديك ساره؟

- بالطبع.

توقّفت الموسيقى وأعادها بيتر الى الطاولة ممسكاً بذراعها. ولما بدأت الرقصة الثانية، دعا رونالد ساره بكل أدب، فقبلت، وبعد لحظات، لمحت ساره أنجيلا ترقص مع بيتر ولم تستطع إلاّ ملاحظة جمالها معاً، على عكس تناسق اختها مع رونالد ستيفنسن.

كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل عندما أعادت ساره الرقص مع بيتر. وفجأة كاد نفسها ينقطع وأحست بالدهشة تخرج من عينيها... ستيفان راند هنا، يقف قرب الباب مرتدياً سموكنغ أبيض، كادت لا تصدّق أنه هو... كانت باحة الرقص مليئة لدرجة جعلتها تضيعّه، ومع كونه آخر من فكّرت بامكانية وجوده في تلك السهرة، غير أنها تأكدت أنه هو، بلحمه ودمه، الاّ اذا كان له أخ توأم... ماذا جاء يفعل في هذا القصر؟

عندما رأته قرب البحر في اليوم السابق، وفي الصباح ذاته، لم تكن تتخيّل أنه يملك ثياب سهرة... هل أتى من...؟ لا

مستحيل... مستحيل، فقد كان لطفاً منه أن يأخذها معه الى الشاطىء... أظهر بعض الاعجاب بها، لكنّها لا يمكن أن تتخيّل أنه أتى الليلةليراها.

- مساء الخير، ساره.

أصابتها الدهشة عند سماعها صوته لدرجة أنها توقّفت مباشرة عن الرقص... كيف استطاع رؤيتها والعثور عليها وسط كل هؤلاء الناس؟

- أوه، ستيفان... بيتر... اقدم لك ستيفان راند، ستيفان، السيد لازلو...

- مساء الخير، هل أستطيع أخذ ساره منك يا لازلو؟

وهي تنتقل بعينيها من الواحد الى الآخر، فهمت ساره ببعض الانزعاج أن الرجلين يعرفان بعضهما وبينهما نوع من الفتور المتبادل. اعتقدت للحظة أن بيتر سيعترض. ثم، وبعد ما انحنى معتذراً، ترك يدها وقال بصوت لا نبرة فيه:

- طبعاً... الى اللقاء يا ساره.

وبعد أن أخذها بين ذراعيه للرقص، سألها ستيفان هادئاً:

- تبدو عليك الدهشة من رؤيتي.

- بالفعل... نعم... ماذا تفعل هنا؟

- الم تحزري؟

ابتسامته والطريقة التى كان يشدّها فيها اليه، جعلت خفقات قلب ساره تزداد...

- كيف كان غداؤك ظهر اليوم؟

- جيداً... ممتعاً جداً... كدت لا أعرفك بهذا الزي.

- أنا دهشت أيضاً... لم أتوقّع رؤيتك ترقصين مع لازلو.

- تعرفنا عليه اليوم، على متن اليخت لماذا، ألا يعجبك؟

- ليس لي أي موقف ضدّه، لكنه لا يصلح كصديق لك.

- لماذا؟

كاد يجيب على سؤالها عندما صمتت الموسيقى وأطفئت الانوار في القاعة تدريجياً، فقال ستيفان محاولاً حماية ساره من الناس العائدين الى طاولاتهم:

- سيبدأ الاستعراض.

فكّرت ساره بأنهما سيتجهان أيضاً نحو الطاولة التي جلسوا عليها مع آل ستيفنسن لكن ستيفان أخذها الى الناحية الثانية من القاعة وجلس الاثنان على كرسيين في موقع يريان منه الاستعراض بوضوح.

استغرق استعراض الفرقة الوطنية نصف ساعة، أعيدت بعدها الأضواء الى القاعة وعادت الموسيقى.

- لا أعتقد أني أستطيع النهوض باكراً والخروج للسباحة اذا نمت في الثانية صباحاً.

فسألها ستيفان وهما يدوران معاً ببطء على نغم رقصة الفالس:

- هل تودّين الصعود الى أراضي الصنوبر غداً بعد الظهر؟

- هذه فكرة جميلة لكني أجهل مشاريع أختي للغد.

- اذن عليك دائماً أن تفعلي كل ما تريده هي؟

- لا، ليس فعلاً، لكنها... هي التي تقرّر المشاريع اجمالاً.

- اذن يجب تقديمي اليها... أين الطاولة التي تجلسون حولها؟

- كانوا هناك، قرب الباب... ستيفان... لست مدرساً في التزلج المائي ولا شيء من هذا القبيل، اليس كذلك؟

فابتسم مستغرباً ثم رأت ساره في عينيه تعبيراً قاسياً:

- أعطيت بعض الدروس لبعض الناس، لكن من باب الهواية وليس الاحتراف. لماذا تسألينني هذا؟

- لا ادري. هكذا.

انتظرت وتأملت أن يقول لها ماذا يفعل في الحياة ليكسب عيشه، ولم تعرف اذا كان يتجاهل حشريتها أو اذا كان يرفض فهم السؤال.

لم يخيّب آل ستيفنست ظنها، اذ استقبلوا ستيفان بلطفهما وحسن ضيافتهما المعهودة. وكانت أنجيلا مؤدبة، بسيطة، لم تظهر شعوراً بالانزعاج كما فعلت مع لازلو.

- هل أنت هنا بصدد عمل معيّن أم أنك في عطلة يا سيد راند؟

فأجاب ستيفان السيدة ستيفنست:

- أنا أعيش هنا.

- فعلاً؟ هذا شيّق... يجب اذن أن تكون عشت جوّ العواصف الهائلة التي كلموني عنها اليوم.

- عواصف الخريف؟ نعم من الممكن أن تكون شديدة القساوة.

- آه، هذا مثال ساطع عن أسلوبك البريطاني في تصغير الاشياء... أكدّ الشخص الذي أخبرني والذي لم أعد أذكر من هو، أن العاصفة تهبّ بسرعة مائة وخمسين كيلو متراً في الساعة، اتمنّى من كل قلبي ألاّ تحدث عاصفة مماثلة خلال مكوثنا هنا.

فأجاب ستيفان مطمئناً الاميركية المضطربة:

- هذا غير وارد، ففصل الأعاصير هذه يتراوح بين آب وتشرين الأول وقلّما هبت لتعكّر الفصل السياحي. عندنا بعض العواصف لكنها لا تقارن بالاعاصير.

فتدخلت أنجيلا سائلة:

- ماذا يحدث عند هبوب أعاصير مماثلة؟

- نختبيء وننتظر مرور العاصفة... سآخذ ساره غداً الى أراضي الصنوبر فهل تودّون مرافقتنا؟

ألقت أنجيلا نظرة على أختها ولكن قبل أن تتفوّه بكلمة، قال

رونالد:

- الآنسة أنجيلا وأنا سنقوم بالصيد تحت البحر. ألا تريد المجيء معنا يا سيدّ راند؟

فأنت بلا شك تجيد هذا الصيد ما دمت تسكن هنا. سنذهب في الساعة العاشرة وسنبقي طيلة النهار.

فنظر ستيفان الى ساره قائلا:

- أتفضلين هذا؟

وتخلّل نظراته نوع من السخرية اذ انه كان يعرف أنها تفضل البقاء معه، لكن تنقصها الجرأة للبوح بذلك.

ولحسن الحظ، أخذت السيدة ستيفنست القرار بدلاً منها:

- أعتقد أن يوماً بكامله في البحر يتعب ساره، بينما تريحها نزهة طويلة في الغابة. لذلك أقترح عليكم أن نلتقي جيمعاً للعشاء، وبعد ذلك نستطيع الذهاب الى ناد ليلي...

لم يعترض أحد على هذا المشروع لكن ستيفان أضاف:

- حسناً جداً، سأنتظرك في باحة الفندق غداً ظهراً يا ساره.

وبعد وقت قليل، أقنع السيدة ستيفنست بالرقص معه، تبعهما رونالد وأنجيلا، بينما بقيت ساره وحدها مع بيتر.

كان ينظر الى كأسه منذ عدّة دقائق ولو دعا ساره للرقص لخيّل اليها أنه غير سعيد.

- سأبقى هنا هذه المرّة... أشعر بالكسل.

- ربما تشعرين بالحر. هل تريدين التنزه قليلاً على الشرفة؟

كانت طاولات العشاء قد نقلت واستبدلت بمجموعات من الكراسي الخالية من الناس عندما وصلا الى الشرفة، فجاءت نسمات البحر ناعمة منعشة بعد جوّ قاعة الرقص العابق بالعطور والدخان.

كانت الساعة قد قاربت الواحدة صباحاً ولكن، في مكان ما على طول المرفأ كان أحد الباهاميين السود يغني الكاليبسو بصوت جميل والبحر الفضي اللون تحت القمر المنير، يدغدغ بصوت أمواجه أطراف السفن واليخوت الراسية، وعندما رفعت ساره رأسها، رأت سلسلة هائلة من النجوم:

ـ ما أروع هذا المنظر.

ودارت صوب جزيرة هوغ وفكّرت بنزهتها الى بارادايس بيتش مع ستيفان حيث سبحت في صباح اليوم نفسه. . . فتمنت لو كانت هناك الآن لتسبح تحت ضوء القمر وتشعل ناراً من الأخشاب الموجودة لتشوي اللحم، على شاطىء البحر.

وقاطع بيتر افكارها وكأنه عرف ماذا يدور في رأسها:

ـ أحياناً، تنظم الفنادق حفلات على الجزر الصغيرة تؤكل فيها اللحوم المشوية على الفحم.

هل تعرفين ذلك؟ على حاضريها الاستراحة والنوم بعد الظهر. . . فالباخرة التي تقلهم تذهب في منتصف الليل ولا تعود الاّ مع طلوع الشمس.

ـ حقاً؟ عليّ أن استعلم، فهذا مسلّ جداً؟

ـ الا تشعرين بالبرد بعد حرارة قاعة الرقص؟

قال هذا محاولاً تغطية كتفيها بيده.

ـ لا أبداً، فهذا نسيم منعش.

ـ في كل حال، أعتقد أنه من الأفضل العودة، فربما لم تستحسن أختك فكرة بقائنا معاً مدّة طويلة.

فنظرت ساره اليه بطريقة شكّت فيها بمصدر شعوره.

ـ لماذا تقول ذلك؟

ـ انه انطباع شخصي.

فشعرت الصبية ببعض الانزعاج. كان يتكّلم بدون اكتراث لكنّ الاحتمال كبير بأن تكون أنجيلا قد استفادت من الرقص معه لتضع النقاط على الحروف مبدية انزعاجها من برود هذا الشاب تجاهها.

ـ أنجيلا غير منفتحة على الغرباء. . . هذا تصرفها الطبيعي مع كل من تجهله.

ـ ربما هي غاضبة لأني لم أضطرب أمام جمالها، فهي بلا شك معتادة على الاعجاب الدائم فيها.

ـ هي معتادة على ذلك لكنها بعيدة عن الادعاء والكبرياء.

فأجاب بيتر بتهكم:

ـ المرأة الجميلة متكبّرة دائماً، فاذا لم يقع الرجل في غرامها، مطلق رجل، لصدمت وأصابها الحزن والقلق.

ـ أنا لست من رأيك. هذا صحيح عن بعض النساء ولكن ليس عن أنجيلا، فليس لأنك لا. . .

صمتت ساره فجأة.

ـ ماذا؟

ـ علينا أن نعود بسرعة.

رافقها بيتر ولكن قبل الدخول الى قاعة الرقص قال لها:

ـ اذا كنت وحيدة غداً صباحا، ربما وددت تعلّم التزلج المائي. اجمالاً لا أعطي درساً قبل الغداء لذلك، وبما أنني أعرض الدروس عليك بصفتي صديقاً، تستطيعين البدء غداً.

كان العرض مغرياً لدرجة منعت ساره من المقاومة، مهما كلّف الثمن مع أختها.

ـ آه، شكراً، شكراًجزيلاً، يسعدني ذلك.

ـ عظيم، أنتظرك اذن في مكتبي تحت الشرفة في العاشرة صباحاً. والآن، سأعيدك الى أصدقائك وأستأذن منهم.

بعد ذهاب بيتر بقليل، تمنى لهم ستيفان ليلة طيبة بدوره وانسحب. وما أن أدار ظهره حتى قالت السيدة ستيفسنت:

- هل تريدون رأيي؟ هذا الرجل هو الصورة الأصلية التي أتخيلها عن رجل انكليزي، هل تفهمون ما أعني؟ هذه اللهجة الجميلة والحركات الأنيقة.

فسألت أنجيلا أختها:

- اين عرفته يا ساره؟

- على المرفأ... فقد... فقد أخذني معه على الشاطىء.

فبان العبوس على جبين أنجيلا لكنها لم تتفوّه بكلمة لكن السيدة ستيفسنت سألت:

- أتساءل من هو... أحد أعضاء الحكومة ربما...

فأكمل ابنها مع مسحة تسلية في عينيه:

- لماذا لم تسأليه يا أمي؟

- سألته بطريقة غير مباشرة، لكنه من نوع الذين لا يحبون التكّلم عن أنفسهم اذ تهرّب من سؤالي.

وتابعت أنجيلا مقطبة حاجبيها:

- أتمنى الاّ يكون في خروج ساره معه غداً خطر عليها.

فطمأنتها الاميركية:

- أنا متأكّدة من أنه رجل محترم.

فاقترح رونالد:

- اذا كان من سكان هذه المنطقة أو هذا الفندق فنستطيع الاستفسار عن أصله.

فصرخت ساره:

- آه... لا.

التفت اليها الجميع فاحمرّ خداها:

- أعتقد أني رشيدة وأستطيع اختيار أصدقائي دون... دون ضرورة الاستفسار عنهم.

على العموم أشعر الآن بالنعاس، سأصعد الى الغرفة.

تبعتها أنجيلا بعد نصف ساعة. ولما لم ترغب ساره في التحدّث اليها، افتعلت النوم العميق.

استفاقت الفتاتان متأخرتين ولما نزلتا الى الشرفة، كان رونالد قد بدأ فطوره. وبعد بضع دقائق جاءت أمه بسرعة ولهفة وكأنها تريد اعلان نبأ مهم جداً:

- لا اريد أبداً أن تعتقدي يا عزيزتي ساره، باني أتدخّل في شؤون غيري، لكنني لاحظت اضطراب أنجيلا فيما يتعلّق بموعدك بعد ظهر هذا اليوم، لذلك نويت التكلّم مع موظفة الاستقبال الخدومة عن الشاب. فغضبت ساره ولكن السيدة ستيفسنت أكملت:

- لقد كنت كتومة جداً وحريصة في حديثي. فسّرت للموظّفة أنني تعرّفت على السيّد راند في الحفلة الراقصة وأنني أود الحصول على عنوانه لدعوته الى حفلة في بيتنا. وبنظري، أحسنت في خطوتي هذه والاّ لبدونا كلّنا كالبلهاء أمامه. كان يجب رؤية وجه الفتاة الهازىء عندما سألتها عنه. تخيّلوا أن هذا الرجل هو صاحب الفندق الذي نحن فيه.

استقبل النبأ بصمت قصير قالت بعده ساره:

- صاحب الفندق؟ لا... لا يمكن...

فاندهشت السيدة ستيفسنت من ردّة فعلها.

- ما بك يا ساره؟ لماذا امتقع لونك هكذا؟ يا الهي... هل أنت مريضة؟ ربما ذهبت الى النوم متأخرة.

- لا، لا، أنا بخير... فقط صداع بسيط... سأتناول حبة دواء... أعتذر.

فصعدت ساره بسرعة الى غرفتها ولما دخلتها اتكأت على الباب بعد أن أقفلته بقوة.

بعد لحظات ارتسمت على وجهها ابتسامة مرّة ساخرة. . . هكذا اذن، بعيداً عن كونه رجلاً من الجزر لا تقبل به أنجيلا، كان ستيفان أحد أكبر أثرياء أصحاب الفنادق في ناسو، على مستوى غنى رونالد ستيفسنت. . اذا لم يكن أكثر. . . سرواله وقميصه المهترئان لم يكونا الاّ طعماً جذباها اليه. . . يالها من بلهاء، تنغرّ بالمظاهر. . . لم يكن في الواقع من نوع الرجال الذي تحب. . . بل من النوع الآخر، الثري، السطحي، الناجح، المادي. . .

٣ - المغامرة

عندما ذهبت انجيلا بصحبة آل ستيفسنت الى الصيد، ارتدت سارة ثياب السباحة تحت قميصها وسروالها، وحضرت حقيبتها ونزلت الى صالون المراسلة. وبعد ان مزقت العديد من اوراق الرسائل الراقية المطبوع عليها اسم الفندق، استطاعت كتابة بضع كلمات وجهتها الى ستيفان راند معتذرة عن عدم قدرتها على مرافقته الى غابة الصنوبر.

ابتسمت لها موظفة الاستقبال عندما رأتها آتية نحوها:

ـ بماذا استطيع ان اخدمك يا آنسة غوردون؟

ـ اود لو سمحت ان تعطي هذه الرسالة الى السيد راند.

ـ بكل سرور، لكنه موجود الآن في الفندق اذا اردت التكلم

معه.

ـ لا، لا، شكراً، الأمر غير مستعجل.

شعرت بالراحة عندما رأت بيتر يصل في الوقت المحدد. فعندما كانت تنتظره على شرفة الفندق، خافت ان يراها ستيفان ويلحق بها، خاصة وانها كانت ستجد صعوبة بالرد عليه اذا سألها عن سبب الغاء موعدهما.

زورق بيتر كان من نوع القوارب المتينة القوية واسمه وايتسبرايت وهو لونان: اسود وفضي.

جلس فيه رجل باهامي بلباس بحري خاص ممسكاً بالدفة الخشبية، والى جانبه رجل اسود يراقب قطر السفينة ابتسم عندما رأى بيتر يحمل ساره الى القارب.

وعندما ابتعدا عن الشاطىء، امسك بيتر بأدوات التزلج وبدأ بتعليم ساره:

ـ اذا وقعت اثناء التزلج يجب ترك الحبل مباشرة فتقعين مسببة دوياً كبيراً دون ان تتضرري او تتألمي، ونذهب بعدها لننتشلك من الماء. عليك الا تهتمي بأدوات التزلج فهي تطوف وحدها. اهم شيء هو ترك الحبل. احدى التلميذات، بعدما شعرت بقرب وقوعها، تمسكت بالحبل فكانت اصابتها لا بأس بها. لم يجرها القارب بعيداً لأن السائق لاحظ ما حدث فخفف سرعة سيره، لكن التلميذة ارتعبت وخافت.

ـ بأي سرعة يسير القارب عندما يجر متزلجاً؟

ـ حوالى ٣٠ عقدة عند الراشدين. طبيعي ان تكون السرعة اخف مع الاطفال الذين يتزلجون على الواح خشبية اصغر.

ـ ثلاثون عقدة؟ بدأت اشعر بالخوف...

ـ لا تأبهي فسأكون بجانبك. وعندما تعتادين على هذه الرياضة،

ستودين ممارستها طيلة اليوم.

عندما صار القارب في عرض البحر، نزل الاثنان وسبحا لتمرين العضلات، ثم اعطاهما الشاب الأسود الواح التزلج.

فسأل بيتر ساره عندما كان الاثنان في الوضع الصحيح لبدء التمارين:

ـ مستعدة؟

فهزت ساره رأسها بالايجاب وشدت بيديها على مسكة الحبل الخشبية. كانت شبه جالسة على الهواء والواح التزلج امامها قليلة الانحناء.

ـ حسناً... والآن سنبدأ، لا تنسي ان تبعدي ركبتيك عن بعضهما... هيا بنا.

بالرغم من كونها سابحة جيدة، لم تستطع ساره ان تتمالك خوفها عندما بدأ القارب يبتعد. كانت اصابعها تشد قبضة الحبل الخشبية ورجلاها تغرقان في المياه فوق لوحي التزلج. شعرت بأن عضلاتها مشدودة متقلصة استعداداً... وفجأة وبسرعة هائلة، اشتد الحبل وشعرت بأن القارب يتأرجح صعوداً ونزولاً على سطح الماء وهي تتبعه، فصرخت بشكل لا شعوري، ثم احست بنفسها ضائعة في رغوة هائلة...

اخبرها بيتر فيما بعد ان منظرها كان مضحكاً لدرجة كاد يقع من جرائه، فلم تصدق ساره انها واقفة على الماء... وحتى لو وقع بيتر، لم تكن لتلاحظ ذلك... ولما اصبحت مستقيمة على الماء غابت عن العالم الخارجي وتركت لنشوتها العنان... تلك النشوة التي لا توصف... الجريان على سطح الماء تحت شمس رائعة في جو عطلة وراحة لم يسبق لها ان نعمت بها... كان الهواء يدغدغ خصلات شعرها وطعم الملح والهواء على فمها.

بعدما خفف القارب من سرعته، وبينما كان الاثنان يسبحان، سألها بيتر:

- هل اعجبك التزلج المائي؟

فهزت ساره رأسها وكانت ما زالت تحت تأثير تجربتها الجديدة، محمرة الخدين وفي عينيها بريق سعادة لا يخفى:

- آه، بيتر. هذا، هذا رائع. كنت اود الا اتوقف ابداً. ان التزلج المائي اسهل مما يبدو عليه.

- رائع، كنت متأكداً انه سيعجبك. تعالي، سنجرب مجدداً.

بعد دورات عديدة، شعرت ساره بانها اكيدة من قدرتها لدرجة انها بدأت تتبع بيتر وتتعلم منه الحركات الصعبة... فكان فرحها اكبر وسرورها اعمق، وسرعتها على سطح الماء اقوى.

مر ذلك الصباح بسرعة هائلة واصيبت ساره بخيبة امل عندما حاولت التزلج وهي ممسكة بالقبضة الخشبية بيد واحدة، اذ عرف بيتر ان الوقت صار متأخراً وعليه العودة الى الفندق.

- حقاً حان وقت رجوعنا؟ شكراً يا بيتر... لا اعرف كيف اشكرك.

فساعدها على الخروج من القارب قائلاً:

- لا شكر على واجب فأنت موهوبة جداً. توازنك رائع ولا يصيبك الخوف مثل الكثيرين... مع بعض التمارين الاضافية ستصبحين مستعدة للقيام بالبهلوانات على الماء.

فخجلت ساره من هذا الاطراء.

- هل تعتقد هذا فعلاً؟ كم اود ذلك.

لو لم تكوني مأخوذة بعد الظهر، لأكملنا التمارين خاصة وان تلاميذي قد اعتذروا عن الحضور...

- لكني غير مرتبطة بعد الظهر.

- الست ذاهبة الى الغابة مع راند؟

فنفت ساره بحركة رأسها:

- حصل تغيير في المشاريع...

ثم اكملت مغيرة الحديث:

- بيتر... لا استطيع ان اقبل منك الدروس دون مقابل.

فأجابها بلهجة صارمة:

- تستطيعين... وستفعلين. فلا احد يقبل المال من اصدقائه. والآن، هل نعيد الكرة؟

كانت الساعة قد قاربت الواحدة عندما قال بيتر:

- لو عرفت انك ستبقين معي، لجلبت بعض الأكل... ما رأيك لو نذهب ونأكل في بيتي؟ تستطيعين بعد الأكل، الاستراحة في الحديقة متفادية بذلك ضربة شمس.

يسكن بيتر في احدى الفيلات البيضاء الصغيرة المتعددة، المحيطة بالشاطىء. وبينما كانت ساره تصعد من الشاطىء الى حديقة بيت بيتر، فكرت بأن انجيلا ستقتلها اذا رأتها، ففي لندن، كانت انجيلا نفسها تتردد في قبول دعوة رجل تكاد لا تعرف عنه شيئاً... لكن هنا، في الباهاماس وفي جو مماثل، تختلف الاعتبارات وطريقة التعامل، عموماً كانت ساره متأكدة من شعورها مهما فكرت اختها: بيتر رجل اهل بالثقة.

تأكدت ساره من حدسها فيما يتعلق ببيتر عندما رأت داخل منزله... لم تكن هناك اي دلالة على كونه رجلاً يلحق النساء ويود اغراءهن بما يملك في بيته، كل الأثاث غاية في البساطة... بعض المقاعد وطاولة منخفضة خشبية وبعض النباتات الخضراء. والذي يفرق هذا البيت عن غيره من البيوت المجاورة، هو بعض معدات التزلج والغوص وآلة تسجيل واسطوانات... هناك ايضاً الكثير من

الكتب والمجلات وبندقيتا صيد مائي.

اعتذر بيتر عن الفوضى ودل ساره على الحمام الذي كان يستعمله كغرفة سوداء لتظهير الصور... وكان ينشر بعضها فوق المغطس.

غسلت ساره يديها ووجهها ووضعت بعضاً من احمر الشفاه وسرحت شعرها الرطب ولما عادت الى غرفة الجلوس، رأت بيتر يحضر لها عصيراً من الفواكه:

- اعتذر يا ساره فالخادم غائب اليوم، لذلك لن استطيع ان اقدم لك وجبة طعام شهية.

- هل تريد مساعدة؟

فأجابها ضاحكاً:

- الفوضى عند رجل عازب مثلي توقظ شعور سيدة البيت عندك؟

- لا ابداً... في كل حال انا لا اسمي هذا فوضى... فالمكان مريح وقريب الى القلب.

- حسبتك حساسة امام الفوضى واعتقدت انك شديدة الاهتمام بالترتيب.

- اذا كنت هكذا فالأمر يعود الى الضرورة اكثر منه الى الذوق الشخصي. فبيتنا كان صغيراً لدرجة ان ترتيبه كان واجباً والا لغرقنا بالاغراض والحاجات... فالبيت بكامله كان بحجم هذه الغرفة...

بعد هذا الاعتراف البريء وبعد الغداء، خرج بيتر بصينية القهوة الى الشرفة المطلة على البحر وجلس مع ساره، كل على كرسي قماشي طويل.

- بعد الظهر، سأصورك، وهكذا عندما تعودين الى لندن، تتذكرين هذه العطلة.

- وانت، ماذا ستفعل؟ هل تنوي الاستقرار هنا وقضاء كل

حياتك؟

- من يدري؟ انا لا اقوم بأية مشاريع. اني مرتاح هنا، احب المكان، واكسب عيشي بطريقة تعجبني... اما المستقبل، فيبرهن عن نفسه بنفسه. لم اعد شاباً لأحلم.

- كم عمرك يا بيتر؟

- واحد وثلاثون عاماً.

- ليس كثيراً.

- عدد السنوات ليس مهماً... المهم هو الطريقة التي يعيش بها الانسان.

حتى الآن لم تكن ساره قد تجرأت على سؤاله عن حياته، لا بد انها ستوقظ عنده ذكريات مؤلمة. لكنها اسرعت بالسؤال حتى لا تغير رأيها:

- ماذا كنت فعلت لو لم تترك هنغاريا يا بيتر؟ هل كان لديك عمل تحبه؟

امسك بيتر ابريق القهوة وسكب لهما من جديد:

- هل تعرفين التوكاي؟

- اعتقد انه شراب... اليس كذلك؟

- بالتحديد. انه نوع من عصير العنب. اهلي كانوا يملكون كروماً منذ اجيال عديدة. ولما كنت صغيراً، علمني ابي كيفية زراعة الكروم. لكن حياتنا بدأت تصعب بعد موته، حتى قبل الثورة، وعلمت حينها انني من غير الممكن ان ابقى هناك. فأن يكون الانسان بلا وطن، شيء صعب بلا شك، لكن البقاء في وطنه والشعور بالتعاسة، شيء اصعب.

كان يتكلم ويتأمل البحر في وقت واحد. شعرت ساره ببعض الحزن عليه خاصة وان ثبات فمه عبرت عن تأثره البالغ. وفجأة نظر

اليها مقاطعاً مجرى الحديث والتفكير:

- يكفي التكلم عني الآن. . . اذا كنت مستعدة سنعود الى القارب لمزيد من تمارين التزلج المائي. . . عليك قبل ذلك وضع الزيت على جسمك، فحرام ان يحترق جلد بطراوة جلدك.

في نهاية بعد ظهر ذلك اليوم، استطاعت ساره بمهارتها التزلج ويديها على خصرها وقبضة الحبل الخشبية بين رجليها. عند اول محاولة لها لهذا التمرين، شربت الكثير من ماء البحر لكنها اعادت المحاولة ونجحت. وعندما رافقها بيتر الى الفندق ليوصلها، قال لها ممازحاً ان عدم مشاركتها له في التعليم خسارة اذ انها تستطيع تمرين الرجال وهو تمرين النساء. . . .

- في الوقت الحاضر، ليس لدينا معلمات جميلات. . . وهذا التجديد في اسلوب التعليم لا بد ان يلاقي رواجاً كبيراً.

فأجابته:

- اود لو استطعت البقاء.

كانت تشعر بنشوة التعب الجسمي الممزوج بالاكتفاء المعنوي من جراء يوم مليء بالشمس وهواء البحر.

- ولم لا تبقين؟ لست مجبرة على العودة الى لندن، اليس كذلك؟

فردت مبتسمة وهي تفكر بردة فعل انجيلا اذا سمعت بمشروع كهذا:

- لا ، لست مجبرة على الرجوع.

فلم يشدد بيتر وسأل:

- في اي ساعة تعود اختك من رحلة الصيد؟

- لا اعرف، لقد تكلموا عن عشاء متأخر ثم الذهاب الى ناد ليلي للرقص.

- ربما تأخروا اذا كان يوم الصيد ناجحاً. هل تودين العشاء معي؟

اذا كنت تحبين الأكل الصيني، لدينا الخيار بين مطعمين جيدين: غولدن دراغون وبلاك بير .

- اود ذلك يا بيتر، لكنني افضل انتظارهم.

- لا بأس، سنذهب معاً في مساء آخر.

عند عودتها الى الفندق، ارادت ساره الصعود بسرعة الى غرفتها خوفاً من رؤية ستيفان راند لكن مفاجأتها كانت عندما صادفت اختها انجيلا في المصعد.

- مساء الخير يا انجيلا. هل استمتعت بوقتك؟

حاولت ساره اخفاء المفاجأة عند رؤية اختها لكن شعورها خانها.

- نعم كثيراً. لقد اصطدنا العديد من الأسماك.

كانت نبرة صوت انجيلا محببة ومقرونة بابتسامة لكن، ما ان اصبحت لوحدها مع اختها في المصعد، غيرت نبرتها:

- ماذا فعلت اليوم؟ التقينا الآن السيد راند الذي انبأنا بأنك الغيت موعدك معه.

- فعلاً، لقد غيرت رأيي.

- كيف يمكنك يا ساره ان تكوني بهذا الحمق؟ ما هو العذر الذي اعطيته؟

- لم اعط اي تفسير. قلت له بكل بساطة انني لن اكون معه اليوم.

ولما دخلتا الغرفة صرخت انجيلا بغضب:

- بعض الأحيان تتصرفين بعدم شعور بالمسؤولية. اود ان تتذكري ان افعالك تقع عواقبها علي. . . هلا قلت لي ماذا فعلت اليوم؟

فاعترفت ساره وهي تفك ازرار قميصها:

- تزلجت على الماء مع بيتر لازلو. ولو كان عندي القليل من

الذوق، لقبلت دعوته على العشاء. . . فكان هذا اكثر تسلية لي من رؤيتك عاقدة الحاجبين طيلة السهرة.

وللمرة الأولى لم يزدد غضب انجيلا. كانت على وشك الصراخ، لكنها حركت كتفيها، دلالة على عدم الاكتراث، وقالت ببرودة:

ـ في اية حال، اذا قررت القيام بكل ما تريدينه، فليس بيدي حيلة. لكن حذار ان تطلبي مساعدتي اذا ما خلق لك هذا الانسان مشكلة وانصحك بتفادي ستيفان راند. فهو ليس من نوع الرجال الذي يقبل بتصرف مثل تصرفك.

خلال العشاء توقعت ساره رؤية ستيفان، لكنه لم يظهر. . . عندما تركوا طاولة الأكل، كان مفروضاً ان يأخذهما آل ستيفنست الى ناد ليلي. وبما ان هذا النادي لا يفتح قبل الساعة الحادية عشرة، ذهب الجميع الى مقهى الفندق. بعد نصف ساعة، تذمرت انجيلا من الحرارة الشديدة، فاقترح عليها رونالد القيام بنزهة بحرية على الكورنيش. وسأل امه بعدما وافقت انجيلا:

ـ وانت يا امي؟

ـ لا يا حبيبي فأنا اشعر بالتعب. اذهبا معاً. واذا لم تجدانا هنا، عند عودتكما، سنكون في الصالون الكبير.

فأخذ رونالد انجيلا بينما مالت السيدة ستيفنست مبتسمة نحو ساره وقالت:

ـ اتمنى الا تكوني حانقة علي لأني لم اقترح عليك التنزه معهما يا عزيزتي. لكني متأكدة انهما بحاجة للبقاء وحدهما. . . او بالأحرى هذا ما يريده رونالد.

ـ طبعاً، انا افهم ذلك.

ـ هل تعرفين انني قلقة بشأنه؟ حتى ايام الجامعة كان قليلاً ما يخرج مع صبايا في سنه. وفي الفترة الأخيرة كان منهمكاً باعمالنا لدرجة لم

تعطه دقيقة واحدة للراحة. وقد تعذبت كثيراً في اقناعه بالمجيء معي الى هذا المكان في عطلة.

توقفت السيدة ستيفنست عن الحديث لحظة لتشرب الشراب، بينما تساءلت ساره عن هدف هذا الحديث.

ـ انا متأكدة ان ابني ليس نادماً الآن على المجيء ولن افاجأ اذا كانت هذه العطلة تاريخية في حياة رونالد. . . ماذا تعتقدين انت يا ابنتي الصغيرة؟

فردت ساره بنوع من الارتباك وعدم الراحة:

ـ لا اعرف.

ـ الم تقل لك اختك شيئاً؟ ربما لا. . . انتم الانكليز اكثر تحفظاً منا. . . حتى بين ابناء العائلة الواحدة. فتخيلي. . .

وقاطعت الاميركية حديثها وعلى وجهها علامة مضايقة مفاجئة:

ـ آه. . . يا الهي، ليتني لم آكل فواكه البحر . . فهذا النوع من الأكل يزعج كبدي. . . هل تعرفين. . . ساره، يا حبيبتي، اكون لك شاكرة اذا صعدت الى الغرفة وجلبت لي ادويتي. . . فاذا تناولت حبة دواء فوراً، تكون عواقب العشاء سليمة.

ـ طبعاً، حالاً. . .

اجابتها ساره وفي نفسها فرحة لا توصف لأنها ستهرب من هذا الحديث ولو قليلاً.

ـ هذا مفتاح غرفتي. تجدين الأدوية على طاولة ادوات الزينة في علبة صغيرة ملونة. . . لا يمكن اضاعتها.

بعد ضجيج طابق الفندق الأرضي، وجدت ساره نفسها غارقة في هدوء الطابق الأول. دخلت ساره الى غرفة السيدة ستيفنست وفتشت عن زر الكهرباء. . . طاولة الزينة كانت مخبأة بعدد هائل من زجاجات العطور والمراهم وادوات الزينة مما اضطرها للبحث مطولاً

قبل العثور على العلبة الصغيرة الملونة. تساءلت ساره عما تفكر الخادمات عندما ترتبن غرفاً مثل هذه. ولاحظت بأن الغرفة بكاملها كانت بهذه الفوضى... فنفخت على العلبة المغطاة بالبودرة ومشت نحو الباب عندما ارعشها صوت آتٍ من خلفها:

ـ مساء الخير يا آنسة غوردون.

شعرت ساره بالخجل والانزعاج واستدارت لتواجه ستيفان راند: كان يرتدي بدلة خفيفة رمادية فاتحة مع قميص من الحرير الأبيض وربطة عنق غامقة، من لون واحد.

ـ لقد ندمت كثيراً لأنك لم تستطيعي المجيء معي الى الغابة.

كانت ساره مرتبكة لدرجة انها قالت اول كلمة مرت في رأسها:

ـ كنت... كان عندي صداع.

فرأت جفناً من جفنيه يرتفع بقصد الهزء:

ـ اذن انا اخطأت. فقد كنت على متن باخرتي بعد الظهر، وخيل الي انك كنت تتزلجين على الماء.

لم تعرف ساره اين تذهب بوجهها. لم يكن الكذب من عاداتها. قالت ما قالته لأن هذا الرجل الواقف امامها كان يفقدها توازنها...

ـ نعم، هذا صحيح. اعتذر الآن لأني اتيت لأجلب شيئاً للسيدة ستيفنست.

كان المصعد والسلم عن يمينها مما جعلها مجبرة على المرور امامه. فما ان تقدمت حتى وقف في عرض الممر وسألها:

ـ هل تلغين مواعيدك بصورة دائمة؟ عندما يعرض عليك مشروع افضل؟

فازداد احمرار خدي ساره: لم يسد راند الممر نهائياً بوجهها، لكنها شعرت انه لن يلبث ان يفعل. فأجابته ببرودة:

ـ لم يكن هذا السبب.

ـ ما هو السبب اذن؟

فترددت بين الهروب منه او اجابته بصراحة. فقررت الانتهاء من الموضوع:

ـ كان عليك ان تقول لي بانك صاحب الفندق.

ابتسمت، لكن عيناها كانتا تبرقان وجسمها يرتعش:

ـ لماذا؟ لانك تعتقدين ان اصحاب الفنادق غير اهل بالثقة؟

فتفاجأت ساره بتحليله وفتحت عينيها بغضب:

ـ طبعاً لا، فانت تعرف ان هذا ليس السبب.

ـ عفواً، لكني لا اجد علة اخرى.

ـ ارجوك، السيدة ستيفنست تنتظر دواءها.

ـ تستطيع ان تنتظر قليلاً.

اريد ان اعرف ما يحدث؟

ـ السبب بسيط... لا أحب ان يهزاء مني الناس.

فضحك ستيفان راند بقوة مما زادها حيرة:

ـ اعذريني لكنني لا افهم... كيف توصلت الى هذا التحليل الغريب؟

ـ عرفت انني من نزلاء الفندق... ومع هذا لم تقل لي شيئاً... جعلتني اصدق انك تسكن جزيرة صغيرة.

ـ اذا كانت ذاكرتي جيدة... اعتقد انني قلت لك باني اعمل في ناسو.

ـ لكنك لم تقل لي ماذا تفعل في ناسو.

ـ لأنك لم تسأليني عن ذلك.

ـ آه... كل هذا بلا جدوى، لا فائدة للنقاش.

ـ فعلاً... لا جدوى لهذا لكنني اريد ان اؤكد لك باني لم اهزأ منك. فلنبدأ من الصفر.

ما رأيك بزيارة الى جزيرتي غداً؟

سألها راند هذا السؤال بابتسامة جعلتها تتأكد اكثر واكثر من جماله وجاذبيته مما زاد ارتباكها:

- اوه. . . لا. . . لا اعتقد اني استطيع، اسمع. . . علي ان آخذ الدواء الى السيدة ستيفسنت والا قلقت علي.

- حسناً، سآتي معك وافسر لها كل شيء.

لم يترك لها ستيفان الوقت لتعترض اذ امسك بيدها وقادها نحو المصعد. وعند وصولها، وبعد اعتذار ساره عن تأخرها، قالت السيدة الاميركية:

- مساء الخير يا سيد راند. . . هل تود الجلوس معنا؟ لقد اكلت كثيراً هذا المساء. لكن مأكولات فندقك لذيذة لدرجة لا يتمالك الانسان نفسه.

فرد ستيفان وهو يجلس والتسلية بادية على وجهه:

- هذا شرف لي يا سيدتي. اسمحي لي ان اقترح عليك علاجاً افضل من هذه الأدوية مجتمعة.

اشار الى احد الخدم واعطاه اوامر بصوت منخفض ثم اكمل:

- هل تودين مع ابنك والآنستين غوردون القيام بنزهة معي، في الغد، الى جزيرتي؟

- هذا لطف منك. يسعدنا ذلك. اليس كذلك يا ساره؟

شعرت الصبية ان ستيفان يراقبها، فتفادت النظر اليه لكن السيدة ستيفسنت لم تترك لها فرصة التعبير عن رأيها اذ سألته عن كيفية مجيئه للعيش في البهاماس:

- انا ادرس دائماً الأماكن التي نزورها بهدوء. البارحة مساء، قرأت في سريري تقارير مذهلة عن تاريخكم المحلي، تدور حول اول من جاء الى هذه الجزر واستعمرها وغامر فيها. . . هل انت من

سلالة احد اولئك المغامرين؟

- اوه. . . لا. . . يبدو ان عائلتي منحدرة من احد اللصوص المشهورين واسمه جاك راند لونوار.

فبدا الرعب، لوهلة صغيرة، على وجه السيدة ستيفسنت وظلت فاغرة فاها، هنيهة قبل اطلاق صرخة عبرت عن دهشتها.

- آه، طبعاً يا سيد راند. . . لا اصدق، لا استطيع ان اصدق. نظراً لكتبي التي اقرأها كان هؤلاء الناس مذهلين، هائلين، مخيفين. . . على العموم اعتقد ان الميول الوراثية قد اختفت منذ مدة بعيدة.

فأجاب ستيفان ساخراً:

- خاصة منذ تلك الفترة البعيدة.

في تلك اللحظة، جاء الخادم حاملاً الوصفة التي اوصاها ستيفان. . . كوب مليء بالسائل السميك بلون الكراميل البني.

- لا تخافي يا سيدة ستيفسنت. طعم هذا السائل لذيذ.

فنظرت اليه الأميركية بطريقة حذرة، منه ومن الشراب، خاصة بعدما اعلن عن السلالة التي ينحدر منها ثم ذاقت السائل وقالت:

- آه . . . طعمه لذيذ.

عندها نهض ستيفان عن كرسيه:

- المعذرة، علي الانصراف، فلدي الكثير من الأعمال. ستكون الباخرة جاهزة في الساعة الحادية عشرة. . . اذا اردتم المجيء معي.

- حسناً. . . مساء الخير. . . ليلة طيبة يا ساره.

فانحنى بأدب وخرج مسرعاً من الصالون.

- اعتقد بايمان ساطع ان هذا الشراب قام بمفعول ايجابي.

وبعد وقت قصير قالت:

- اشعر بالتحسن البارز. الا تعتقدين اني جرحته بكلماتي

البلهاء؟ فلو شككت لحظة بان احد جدوده لص، لما سألته. اتساءل اذا كان كتابي يذكر جاك راند لونوار... يجب ان اعيد قراءة هذا المقطع.

- السيد راند كان يمازحنا يا سيدة ستيفسنت.

- لا فهذا ليس موضوع مزاح... انا مندهشة من كيفية اعترافه باصل كهذا. اذا اردنا القيام بهذه النزهة معه، علينا النوم باكراً. انت متعبة ايضاً... ما رأيك لو صعدنا؟ سنقول للخادم هنا ان ينبىء رونالد وانجيلا باننا نائمتان فأنا متأكدة من انهما لن يغضبا، بل على العكس سيفرحان.

في اليوم التالي، حوالي الساعة الثالثة، كانت ساره تستكشف جزيرة صغيرة مهجورة، ضائعة في زرقة المحيط الكبير، بين نيوبروفيدنس والوثير. كان اخرون يتفيأون تحت شمسية بحر كبيرة مركزة في المركب. والأشجار الكثيرة تحجبهم عن عيني ساره... وعندما اختفى صوت الراديو الذي حمله رونالد معه، خالت ساره نفسها وكأنها ضائعة وحيدة في هذا العالم، بعيدة عن كل الحضارات.

هذه الجزيرة كانت صغيرة نوعاً لتمثل الانزواء والانطواء المثالي. كان طولها ٨٠٠ متراً على مئة متر عرض مليئة بالاعشاب الشائكة وبعض اشجار النخيل التي يمكن لمن يريد السكن في الجزيرة استعمال اوراقها كسقف.

انتصبت ساره واقفة بعدما نظرت الى قعر حوض بين الصخور ورأت ستيفان يأتي نحوها من بعيد. كان يرتدي سروال بحر قصير، عاري الصدر وعلى كتفيه منشفة. شعرت لوهلة دون ان تدري السبب برغبة باهماله وكأنها لم تره، والاختفاء وراء اكوام الاعشاب.

عدا تحية صباحية مؤدبة، ومساعدته لها في النزول الى المركب

للذهاب الى الجزيرة، لم يعرها ستيفان اي انتباه. فخيل اليها في بعض اللحظات انه يتجاهلها عن قصد. جلست على الرمل تنتظره واعصابها شديدة التوتر. ولما وصل، رمى بنفسه قربها وقال:

- هل تعرفين انك، من بعيد، تحت القبعة الكبيرة التي تعتلين، تبدين وكأنك صبي في العاشرة من عمره يصطاد السلطعون؟

- حقاً؟

اغرقت ساره اصابع رجليها في الرمل الدافىء واخذت تتأمل المركب الراسي امامها. كانت قد خلعت تنورتها البرتقالية التي يتماشى لونها مع قميصها، وابقت سروالاً قصيراً ابيض... اعطى تناقضاً جميلاً مع لونها العسلي الذي اقرت عليه اشعة الشمس خاصة بعد درس التزلج المائي الذي اعطاها اياه بيتر، مما جعل لون رجليها جميلاً جذاباً.

اشعل ستيفان سيكارة، ولاحظت انه، على عكس رونالد، الذي كان يحمل علبة مذهبة رائعة مخصصة للسكائر وولاعة ذهبية متناسقة، كان ستيفان مكتف بالعلبة الاصلية وبولاعة بسيطة قديمة لا قيمة لها.

- الآن وقد رأيت بعض الجزر الصغيرة، ما رأيك؟ هل ما زلت تحلمين بمنافسة روبنسن كروزو؟

- طبعاً. هذا لا يزعجني. لكني اعتقدت انك ستأخذنا لنتفرج على جزيرتك.

- كنت فعلت ذلك لو اتيت لوحدك.

- الا تحب آل ستيفسنت؟

- انا ارى العديد من السياح في ناسو.

- وانا ايضاً سائحة.

- لكنك لست اميركية سمينة ثرثارة.

فأحنت ساره رأسها ورسمت شكلاً من التراب.

ـ لم يكن لطفاً منك ان تهزأ منها البارحة مساء. ربما هي محدودة الافكار نوعاً ما لكنها طيبة القلب.

ـ اهزأ منها؟

ـ تتذكر... عندما قلت لها انك تنحدر من قرصان لص! لقد صدقتك.

ـ وانت... الم تصدقيني؟

فرفعت ساره رأسها ونظرت اليه بطريقة يائسة ثم بدأت تضحك.

ـ طبعاً لا.

ـ ولم لا؟ لا ارى السبب.

ـ اوه... انا اعرف ان هذا ممكن طبعاً، لكنه يخيل الي انه اذا بقي قراصنة في هذه البحار، لانتهوا على المشنقة. في كل حال، اعتقدت انهم في المنطقة الأكثر جنوباً... في جزر الانتيل.

ـ نعم، كان الجنوب مركز عملياتهم. لكنهم لم يهملوا الباهاماس. خلال خمسين عاماً كانوا يحكمون هذه المنطقة، اذا صح التعبير، ويسنون فيها القوانين. اكثرهم بطشاً شنقوا في فور شارلوت، لكن الكثيرين منهم تعقلوا وتمركزوا هنا واصبحوا محترمين جداً.

ـ بما فيهم جاك راند لونوار؟

فأجابها بهزء:

ـ بلا شك، والا لما كنت هنا اليوم لأروي القصة والتاريخ. بديهي اني لم اكن مجبراً على البوح باصلي الحقيقي. كان بوسعي مثلا ان اقول لها ان ابي جاء هنا بهدف شراء الأراضي واستثمارها قبل وفود السياح اليها... لكن هذا الأمر لم يكن ليهمها.

ـ هل تعلم انها ستردد ما قلته لها على مسامع الجميع؟

فابتسم ستيفان بقوة:

ـ سيزيد هذا بلا شك عدد نزلاء الفندق.

ثم اكمل حديثه مستعيداً جديته:

ـ ماذا اتى بكما الى ناسو، انت واختك؟

ـ انها فكرة انجيلا. اعتقدت ان ناسو تغير جو حياتنا.

تأملها ستيفان واكمل:

ـ لا يمكن تصوركما كأختين.

ـ نعم... هذا ما يقوله بيتر لازلو... وما يقوله الجميع.

فجلس عندما سمع الاسم الذي ذكرته وقال بنبرة غريبة:

ـ على فكرة... نسيت امر لازلو.

ـ يخيل الي انك لا تحبه.

ـ فلنقل انه لو كانت لدي اخت شابة طيبة القلب ساذجة مثلك، لما شجعتها على الاهتمام به.

فعبست ساره وقالت بانزعاج:

ـ انه رجل مؤدب وشيق.

ـ حقاً؟ هل كلمك عن هجرته المشهورة من هنغاريا؟

ـ لم يخبرني عن كيفية هروبه والطريقة التي ترك فيها بلاده فهذه بلا شك ذكريات يريد نسيانها.

ـ هذا ممكن...

بعد جواب ستيفان اللامبالي، شعرت ساره بنوع من الاحتقار بصوته، فغضبت وقالت:

ـ يبدو لي انه بحاجة الى الشفقة اكثر منه الى الشك.

فلم يخفف ستيفان تسليته بالحوار الذي يدور وقال:

ـ اتساءل اذا كانت هنالك امرأة واحدة في العالم، قادرة على

الصمود امام لهجة اجنبية غريبة وامام انطباع الشجاعة عند الرجل.

ـ لا يعجبك لأنه ربما اثر على السياح. فمن غير اللائق ان يذكرهم بان الحياة ليست عبارة عن حفلات وسهرات وحمامات شمس. تكون مخطئاً اذا قلقت، فبعد الذي رأيته حتى الآن، معظمهم يهزأون ولا يبالون ابداً بصعوبات غيرهم. فهم منهمكون بسرورهم واكتفاءاتهم الذاتية.

ـ انت ايضاً مثلهم على الارجح. اشك بان نصيب ومستقبل هنغاريا منعك من النوم قبل لقائك بصديقنا لازلو.

ـ هذا ممكن، لكنني على الأقل لم احتقر احداً لأنه فقير او غير مهم.

ـ ياه... دقيقة... انت تغضبين بسرعة دون سبب. انا لا احتقر لازلو... على العكس فهذا الشاب يعجبني وانا اقدره.

ـ بكل تواضع.

رات ساره فم ستيفان يلتوي وبرقت في عينيه قلة الصبر. شعرت انه يغضب ولسبب ما بدأ قلبها يخفق بسرعة اكبر واحست بان حوارهما اخذ اطاراً اخطر مما توقعت. كان عليها ان توقف الحديث لكن حدساً اخر جعلها تكمل:

ـ اعتقد انه لو كانت عندك اخت صغيرة بلهاء وطيبة وساذجة وسهلة القياد، لكنت شجعتها على بعض الاميركيين الاثرياء مثل رونالد المسكين...

لم تكد تنهي جملتها حتى ندمت على جنونها العفوي، تبعت هذه الجملة فترة صمت ثقيل جعلها تحمر اكثر من الانزعاج. لم تجد الشجاعة الكافية لتسمع جواب ستيفان بل وقفت بسرعة:

ـ علينا اللحاق بالباقين...

ـ لا... انتظري.

قال هذا وامسك يدها بيده السمراء مجبراً اياها على الجلوس من جديد، كان ستيفان قد غير ملامح وجهه فلم تعد ترى فيه قلة الصبر، بل تعابير اخرى... تعابير جعلتها ترتجف من التأثر... فقالت محاولة التكلم ببرودة دون التوصل الى التحكم بصوتها:

ـ ارجوك... اتركني..

ـ هل تعرفين انك تبحثين عن المتاعب؟ لا ادري اي دواء افضل لك، ضربة على كفلك او هذا... لم يعطها الوقت الكافي لتجيبه... ترك يدها واخذها بين ذراعيه... لم تفكر او بالاحرى لم تستطع ان تفكر بمقاومته... كان اقوى منها بكثير مما جعل مجهودها لمقاومته يذهب سدى... رد على ذلك ان قبعتها وقعت وجعلت الشمس تصب اشعتها في عينيها مباشرة... لم تقدر على تحريك رأسها رفضاً لأنه امسك بذقنها وشد باصابعه على ذراعيها ازدادت غضباً عندما فكرت بان حدسها وشعورها اتيا بها الى هذا الوضع الذي قبلت به ورفضته في الوقت نفسه...

ـ الأمر ليس جديراً بالخوف يا صغيرة. لكن هذه التجربة البسيطة ربما جعلتك تعين الحقيقة والواقع... ما زلت طفلة يصعب عليها معاشرة الذئاب.

ـ اوه...

انتشلت قبعتها من يده وترددت ثم صرخت في وجهه:

ـ انت افظع مخلوق التقيته في حياتي.

ونظرت اليه بطريقة كادت تدفنه فيها تحت التراب، تركته واكملت سيرها على الشاطىء.

كانت السيدة ستيفنست وحيدة في المكان الذي اختاروه ليجلسوا فيه، عندما وصلت ساره.

ـ اعتقدت انك مع ستيفان يا ساره. رونالد وانجيلا اختفيا... اظن انهما في الناحية الثانية من هذا المكان.

فتمتمت ساره وهي تفتش في حقيبة البحر:

ـ حقاً؟ اشعر برغبة في السباحة.

ذهبت لتغيير ملابسها وراء بعض الاشجار. كان قلبها لا يزال يخفق بقوة ويداها ترتعشان لدرجة انها وجدت صعوبة في ترتيب ملابسها. كان ستيفان في الناحية الثانية من الشاطىء عندما نزلت الى الماء. بعد بضع دقائق، وبعدما قامت ببعض التمارين في الحوض الهادىء، استرجعت هدوء اعصابها.

الرجال مثل ستيفان راند عندهم مناعة ضد الكره... غضبها الماء وسلاه. افضل شيء هو نسيان الحادثة التي حصلت اليوم وتجاهلها وكأنها لم تكن... ندمت لأنها لم تتحكم باعصابها وتظل على هدوئها... لكن الندم لا ينفع الآن بعد فوات الأوان... بعد قليل رأت رونالد واختها عائدين، اليد باليد، انجيلا تضحك على كل ما كان يخبرها اياه...

عندما عادت ساره الى الشمسية التي جلسوا تحتها، كان ستيفان موجوداً... قامت بمجهود هائل لتنظر اليه وترد على نظرته الساخرة بنظرة اكثر سخرية... عندما حان وقت العودة، تركته يساعدها على الصعود الى المركب دون اظهار شعورها...

هذا الشعور بالتأثير الشديد عندما يمسك يدها او يقترب منها او يشعرها بوجوده بجانبها.

عندما وصلوا الى نيو بروفيدانس كانت الساعة تقارب السادسة، حين رأوا باخرة لوكارونيان تصل الى المرفأ... اوقف ستيفان مركبه

قرب سلم الفندق، وقفز الى الأرض ثم مد يده ليساعد السيدة ستيفنست على الخروج وتبعها الباقون. وبينما هم يشكرونه على اليوم الرائع الذي امضوه، ظهرت شابة بصورة مفاجئة ونادته ضاحكة:

ـ ستيفان... لماذا لم تأت لاستقبالنا؟

كانت طويلة القامة من عمر انجيلا تقريباً بلا شك احدى القادمات على لوكارونيان، لأن الشمس اثرت على بشرتها، على عكس السياح الآتين من اوروبا بالطائرة. مع لون بشرتها وشعرها الأسود وعينيها السوداوين، بدت وكأنها غجرية رائعة، اضافة الى فستانها الأحمر والحلق الذهبي في اذنيها.

ـ فال، كم انا مسرور لرؤيتك. هل كانت سفرتكم ممتعة؟

ـ رائعة. لكنني لم اصدق اللحظة التي وصلت فيها. ارجو ان يكون لديك الوقت الكافي للاهتمام بي.

وبعدما امسك ستيفان بيديها ليسلم عليها، ابتسمت ابتسامة عريضة ابرزت اسنانها الناصعة البياض.

ونظر ستيفان الى الباقين:

ـ اسمحوا لي ان اعرفكم بالآنسة فاليري لانغدن اوين... فاليري، اقدم لك السيدة ستيفنست.

حياها الاميركيان بطيبة، كعادتهما، لكنها لم تكترث لهما بل التفتت مجدداً الى ستيفان.

ـ تعال تحيي ابي وامي... تعال بسرعة.

فأجابها ناظراً الى ساعته ومعتذراً من الآخرين:

ـ طبعاً. اعذروني.

عندها، لاحظت ساره وجه اختها والتعبير المندهش المرتسم

عليه: كانت انجيلا ممتقعة اللون بصورة استثنائية، تتبع فاليري اوين بنظرة حقد وهي تبتعد.

٤- السرّ

عندما صارت الفتاتان في غرفتها، رمت أنجيلا بحقيبة السباحة على السرير وبنفسها على الكرسي وقالت:

- يا لحظّي السيء. كل شيء كان على ما يرام قبل ان تأتي هذه القذرة. الأفضل لنا ان نعود الى بلدنا.

- هل تعرفينها؟ يبدو أنها لم تعرفك.

- آه طبعاً. وعندما تحوّل نظرها لحظة واحدة عن ستيفان راند، ستتعرّف عليّ... اذا لم ترني حتى الآن فلانها لم تتوقّع رؤية بائعة بسيطة.

- من هي؟

أشعلت أنجيلا بغضب سيكارة وهي التي لا تدخّن الا بعد

وجبات الطعام أو في المساء أحياناً. لكن، منذ تحوّلت حياتها، ازداد استهلاكها للدخان. وفي اليومين الأخيرين، دخنت السيكارة تلو الأخرى... فشكّت سارة بأن تكون اختها متوتّرة بالرغم من مظهرها الهادىء.

- هي وأمها اسوأ زبونتين في المخزن... كانتا تبذران الكثير من المال لكنّ صعوبتهما في الشراء جعلت الجميع يستاؤ ون منهما... حتى صاحبة المحل كانت تضطرب عند رؤ يتهما، انهما أبعد انسانتين اردت وجودهما في هذا المكان.

فقالت سارة مطمئنة:

- ليس علينا معاشرتهما. لم نكلّم أحداً هنا باستثناء آل ستيفسنت.

- لا تعرفين السيدة لانغدن اوين الأم... عندما تكتشفان أنني هنا، وتعرفان وظيفتي السابقة، ستجدان غبطة كبيرة في سرد قصتي امام الجميع.

- وما العيب في ذلك؟ العمل في مخزن ليس مدعى للخجل. عديدات من الفتيات يشتغلن هذه الأيام... وفي المخزن الذي عملت فيه، كانت هنالك فتاة مبتدئة بالعمل.

- نعم، لكنها لم تكن مضطرّة للبقاء... فقد تركت العمل عندما ضجرت منه... آل ستيفسنت يجهلان أننا عملنا ويعتقدان أننا مبتدئات.

- لم تقولي لهم هذا اليس كذلك يا أنجيلا؟

- لا لكنهما يعتقدان ذلك... ولأكملا في تفكيرهما لو لم تأت هذه اللعينة. الا تفهمين ان رونالد ليس كائناً خيالياً تحلم به الفتيات لكنه يشكل نصيباً جيداً.

- لا أحب سماعك تتكلّمين هكذا يا أنجيلا. تبدين باردة غير مكترثة بينما طبعك الأساسي مختلف.

لم تسمع أنجيلا ما قيل بل وقفت ونظرت الى نفسها في المرآة وبين حاجبيها عقدة اضطراب وتمتمت قبل النظر الى أختها:

- اذا أرادت تخريب مشاريعي، سأعرف كيف أتدبر أمرها... ليس هناك مدعى للسرور يا سارة فسبب وجودها في ناسو واضح.

- ما قصدك؟

- لست عمياء يا سارة... ألا ترين انها مهووسة بستيفان؟

- ماذا تريدين ان افعل وبماذا يؤثر ذلك علي؟

- آه... عفواً، لأنك لست مهتمّة بأمره. في نهاية الأمر، هكذا أفضل. أعرف انك حزت على اهتمامه لكنك لن تصلي الى مركز فاليري عنده...

في المساء، لم يظهر ستيفان ولا عائلة لانغدن اوين في الفندق. بعد العشاء فكّر آل ستيفسنت ان يشربوا قهوتهم في الحديقة بصحبة الصبيتين. وما ان جلسوا حتى جاء الخادم ينبىء سارة بأن احداً يطلبها على الهاتف. فوقفت لتتبعه الى مكان المكالمة لكنه قال لها انها تستطيع تلقّي المخابرة في مكانها، فوضع الهاتف على يمين كرسيّها وطلب من الاستعلامات اعطاءها المخابرة. لم تتعجّب سارة عند سماع صوت بيتر لازلو لأنها لم تتعرّف على أحد غيره من خارج الفندق. طلب منها ان تخرج معه في ذلك المساء. فتردّدت خاصة عندما صمت الجميع ونظروا اليها ثمّ قرّرت وقالت لأنجيلا وهي تقفل الخط:

- أنا خارجة مع بيتر لازلو. سيمرّ ليأخذني بعد عشرين دقيقة.

ولم تمرّ عشر دقائق حتى أنبأها الحارس بأن السيد لازلو بانتظارها. فتمنت للجميع سهرة سعيدة وتساءلت عمّا تخبئه ابتسامة اختها. ثم ذهبت لتلاقيه في المدخل قرب مكتب الاستقبال.

- آه، مساء الخير يا ستيفان، لقد أمضينا وقتاً رائعاً اليوم.

ثم مرّت أمامه شامخة الرأس ثم ابتسمت ابتسامة عريضة لبيتر ومشت معه بعدما امسكت بيده فقال لها وهو يفتح باب السيارة:

- تبدين نشيطة جداً هذا المساء.
- فعلاً.

وبينما دار بيتر حول السيارة ليحتل مكان القيادة، ألقت سارة نظرة الى مدخل الفندق لكن ستيفان كان قد اختفى. فتساءلت اذا توصلت الى اثارته في المسرحية الصغيرة التي قدّمتها أمامه.. ثم أجابت نفسها بالنفي... الآن، وبعدما دخلت فاليري اوين الى الساحة، لم يعد يهتمّ بغيرها.

- ماذا تفعل أختك هذا المساء؟
- أعتقد انها تخرج مع رونالد.
- هل يجذبها فعلاً هذا الأميركي؟

فكّرت سارة بأن هذا السؤال في غير موضعه، ودليل حشرية غير واضحة، لذلك فضّلت الا ترد عليه.

- انه لطيف جداً.

ثم تابعت مغيّرة محور الحديث:

- الى اين نذهب يا بيتر؟
- فكّرت انه ربما يهمّك رؤية برج اللحية السوداء. انه عبارة عن اطلال مهدّمة، لكن زيارته مهمّة... المكان منزوٍ قليلاً، لكن لا تأبهي فنواياي ليست عاطلة.

قال هذا وحوّل نظره نحوها مبتسماً. فاحمرت سارة وقالت:

- لم تخطر ببالي فكرة من هذا النوع.

فضحك بيتر:

- ببالك انت، طبعاً لا، ولكن ببال اختك بلا شك.
- لا يجب الاهتمام بكل ما تقوله، بما انها تكبرني بثلاث سنوات،

تعتقد انها مجبرة على مراقبتي.

- معها حق، فانت شديدة الثقة بالآخرين، وهذا سيء في مدينة مثل ناسو.
- أنا متأكدة من ان ناسو ليست أكثر خطراً من لندن.. ثم ان الثقة عامل مهم في الحياة والاّ لكانت هذه الأخيرة لا تطاق.
- برج اللحية السوداء مقر سياحي موجود على قمة التلة في طرف الجزيرة.

اخبر بيتر سارة ان اسم هذا القرصان الحقيقي هو ادوارد تيتش وان البرج كان قلعته...

فتمتمت سارة وهما في طريق العودة الى السيارة:

- اتساءل اي نوع من الرجال كان هؤلاء القراصنة... اتكلم عن الرؤساء... لم يكونوا كلهم سيئين... **فهنري مورغان** مثلاً اصبح حاكم جامايكا.
- اشك في كونه شخصية رومنطيقية خيالية كما يصورون في السينما.
- طبعاً لا.
- اعتقد في الواقع انك فتاة خيالية ورومنطيقية جداً.. من النوع الذي يحلم بلقاء رجل الاحلام والهروب معه.
- كل الفتيات يحلمن بذلك بالرغم من معرفتهن بأنّ هذا غير وارد.
- كلّهن؟ لست متأكداً... فأختك مثلاً ليست من هذا النوع.
- أنت تعرفها منذ مدّة قصيرة جداً... فكيف تعرف بماذا تحلم؟
- تبدو لي واقعية.
- وأنا؟ الا ابدو واقعية؟ شكراً انت تمدحني حقاً.

ضحك بيتر معها على هذه الجملة:

- اعذريني.. لم اقصد جرحك. لا ينقصك التفكير والتعقّل لكنه يخيّل اليّ انّ قلبك هو الذي يقود تصرفاتك.

- تقصد ان تقول ان رأسي ليس فوق كتفي؟

ثم سألته سارة وهي تنظر اليه نظرة ناعمة:

- قل لي... اذا لم يكن في رأسك أية نيّة بشأن هذا المساء، لماذا دعوتني؟

لم يجب بيتر مباشرة على السؤال، صادف سؤالها في الوقت الذي خبأت القمر غيمة عابرة لذلك لم تر تعابير وجهه.

- منذ زمن بعيد لم أصادف فتاة مثلك يا سارة. تذكّرينني بالفترة التي كنت أحلم فيها.

- هل وقعت في الحب يا بيتر؟

لم تعرف لماذا طرحت عليه هذا السؤال وخافت ان يسخر منها لكنّه أجابها بجدّية:

- آه طبعاً صادفت حباً كبيراً في حياتي.

- هل تقصد في هنغاريا؟؟

ضحك على سؤالها هذه المرّة دون ندم، ولم تشعر بنفسها مرتبكة وبلهاء مثلما شعرت البارحة مع ستيفان.

- لا، الامر عادي، لم اجد يوماً ما شقيقتي بالروح، ولم اصب بخيبة امل عاطفية. كنت انا دوماً السبب بايقاف قصصي الغرامية وذلك بسبب عدم ثبوتي على انسانية معينة... وخيبات أملي كنت أنا سببها... سهل جداً ان يقع الانسان في الحب لكن الصعب هو الابقاء على هذه العاطفة. لم اصادف حتى الآن المرأة التي اريد تمضية حياتي معها.

صعد الى السيارة واقترح بيتر ان يعودا الى المدينة ويذهبا الى الجهة الثانية.

- يجب الا اتأخر في العودة الى الفندق.

- ما زال الوقت باكراً.

قادها بيتر الى ناد ليلي للرقص في الهواء الطلق، وكل طاولة فيه مغطّاة بشمسية.

كانت الموسيقى هادئة وبطيئة... وبيتر يجذبها اليه كلّما رقصا معاً.

فرأت سارة امامها رجلاً هادئاً، رقيقاً، انيقاً، لطيفاً. وبعد رقصه معها، لم يترك يدها وهما عائدان الى الطاولة... اعتقدت انه من السهل الوقوع في حبه... لكنها كانت على يقين بأن هذا لن يحصل لها. بيتر جذّاب، لكنّ شيئاً ما كان ينقص بينهما.

رقصا وتكلما ورقصا أيضاً حتى نظرت سارة الى ساعتها... انها الواحدة صباحاً.

- يا الهي.. بيتر... الوقت تأخر كثيراً.

- هل الأمر خطير لهذه الدرجة؟ انت لست سندريلا... لا شيء يجبرك على العودة عند الساعة الثانية عشر.

- قلت انني سأعود باكراً... سيقلقون، ارجوك... عليّ ان اعود.

عندما رآها مستعجلة جداً، دفع بيتر الحساب وذهب بصحبتها.

كان الفندق مشعّاً عندما وصلا، ففي ناسو يبدأ الناس سهرتهم في منتصف الليل.

وعندما همّ بيتر بالنزول ليفتح لها باب السيارة قالت:

- لا، لا تزعج نفسك... لقد امضيت سهرة رائعة... شكراً.

- متى نعاود الكرة ونتقابل؟ هل تستطيعين المجيء غداً لمزيد من التزلج المائي؟

- لا ادري. الأفضل ان تخابرني... شكراً ايضاً والى اللقاء.

اسرعت ساره في الدخول الى الفندق وفي اجتياز المدخل وشعرت بالراحة عندما انبأها عامل الاستعلامات ان آل ستيفنسن لم يرجعوا بعد من سهرتهم. . . لم يكن مفتاح غرفتهم معلقاً، فقالت له:

ـ هكذا افضل. . . شكراً. . . تصبح على خير.

هرولت ساره الى المصعد، فرحة لأن اختها لن تعرف الساعة التي عادت فيها. وبما ان المصعد كان مشغولاً، استقلت السلالم هادئة ونادمة على الخوف الذي اظهرته امام بيتر بسبب التأخير، ثم غرقت في ذكريات سهرتها الحلوة وهي تدندن اغنية على ايقاع الكاليبسو وتبتسم، واذ بها تكاد تقع بين يدي ستيفان راند، الذي سألها وهو ينظر الى خديها الموردين وشعرها المبعثر من الهواء:

ـ مساء الخير يا ساره. . . هل امضيت سهرة ممتعة؟

فجأة فقدت بسمتها وثقتها بنفسها:

ـ نعم. . . نعم. . . شكراً.

ثم استعادت هدوءها:

ـ لقد ذهبنا الى نادي كرواسان دولون. . . هل تعرفه؟

ـ نعم. ترددت عليه ثلاث مرات واعتقدت انه سيأخذك اليه.

كان ينقص ساره الخبرة في هذا النوع من الجدل الكلامي، لذلك كانت تفقد اعصابها بسهولة.

ـ ماذا تقصد؟

ـ الرقص في الهواء الطلق على ضوء القمر. . . هذا يدخل في سياسة لازلو للتقرب.

رفعت ساره رأسها، ولحسن الحظ، تحكمت بغضبها:

ـ حقاً؟ لكن اسلوب التقرب اللطيف الأنيق هو افضل من سياسة رجال الكهوف. . . اليس كذلك؟

كم ارادت ان تفقد ستيفان اعصابه بجملتها الأخيرة. . . كم

حلمت بذلك. . . وفرحت عندما لاحظت، بالرغم من ابتسامته الدبلوماسية، تعابير الغضب في عينيه.

ـ بما انني رجل ولست فتاة، يصعب علي معرفة الافضل. . . انت متعبة بلا شك بعد هذا اليوم الطويل. . . تصبحين على خير يا ساره.

انحنى بأناقة صاحب الفندق الذي يحيي احد زبائنه، ثم مضى امامها قبل ان يختفي وراء احد الأبواب. تبعته ساره بعينيها ثم اكملت طريق صعودها الى الطابق الأعلى متنهدة. لم يكن التعب الجسدي هو الذي ارهقها وهي تخلع ملابسها، بل الضغط المعنوي الذي جعلها تشعر برغبة في الارتماء على سريرها والبكاء. وفي صباح اليوم التالي، إنتظرت مكالمة هاتفية من بيتر. حتى الساعة العاشرة، لم يخابرها. فقبلت بمرافقة الآخرين الى بارادايس بيتش معتقدة أنه منهمك في اعطاء دروس السباحة. . . لم تذكر أنجيلا اي شيء عن سهرتها في المساء الماضي. . . فقالت ساره ان أختها مشغولة بمشاكلها الخاصة ولا وقت لديها لتسألها عن امورها.

عندما صعدت الى الغرفة بعد الغذاء لتجلب حقائب الشاطىء، لاحظت أنجيلا ان نظاراتها مكسورة:

ـ علي ان اذهب لأشتري نظارات جديدة. اذهبي يا ساره مع آل ستيفنسن وانا سألحق بكم.

عندما روت ساره نية أنجيلا، غضب رونالد وقال بسرعة:

ـ سأرافقها. . . ربما لا تدري من أين تلحق بنا وتأخذ المركب.

ـ بلى. . . في كل حال، لقد ذهبت الآن.

ـ حقاً؟

قال ذلك واختفت من وجهه ملامح السرور والبهجة. بدا مندهشاً ومفجوعاً وكأن الدورة في مخازن باي ستريت رحلة لا عودة

بعدها. بعدما وصلوا الى الشاطىء بنصف ساعة، بدأ رونالد يصرح عن قلقه:

- كان عليها ان تصل الآن إذا ذهبت لتشتري نظارات... ربما حصل لها حادث.

- لا تتكلم هكذا يا بني... ربما قامت بدورة في كل المخازن لتشتري حاجات اخرى او تتفرج على الجديد.

- سأذهب وراءها... ربما هي مريضة خاصة وان لونها كان ممتقعاً هذا الصباح.

نظرت اليه السيدة ستيفسنت ضاحكة وهو يترك الشاطىء:

- مسكين رونالد. لم اره في حياتي على مثل هذه الحالة... إنه فعلاً مغرم، اتمنى ألا يقع من احلامه ويصطدم بواقع أليم.

تفوهت بالجملة الاخيرة ناظرة الى ساره نظرة أمل بينما تنهدت هذه الاخيرة.

- تبدين مستعجلة على زواج إبنك... مع ان الأمهات يخشين الفتيات اللواتي يجذبن ابناءهن.

- كثيرات لديهن هذا الشعور... بعض صديقاتي ذقن الأمرّين عندما وقع ابناؤهن في الحب وأرادوا الزواج، أنا لست من هذا النوع، عندما سيتزوج ساكون أكثر سعادة منه.

رجعت السيدة ستيفسنت وساره الى الفندق ظهراً عندما لم يعد رونالد مع أنجيلا. فوجدت الاميركية سبباً لغيابهما عندما دخلتا الفندق:

- ربما فضّلا البقاء وحدهما... لن نراهما بعد الظهر، آه.. من أرى؟

فعرفت ساره ان سبب الجملة الأخيرة كانت رؤية رونالد يتهافت نحوهما عند رؤيتهما صارخاً:

- هل هي معكما؟ هل رأيتماها؟

- ماذا؟ ألم تجدها؟ لقد حصل لها مكروه بلا شك... فهي لا تذهب دون ترك خبر...

- لقد حصل لها حادث. بحثت عنها في كل مكان. صعدت الى غرفتها ولم أجدها.

- لا تقلق هكذا يا حبيبي... ربما ذهبت عند مصمم الشعر، ألف إمكانية وإمكانية يمكن ان تؤخرها... هل سألت الإستعلامات إذا تركت لك رسالة؟

- طبعاً... لا خبر ولا رسالة، هل تكلمت أمامك يا ساره عن مصمم الشعر؟

- لا، لكني اكيدة من أن شيئاً لم يحصل لها... لماذا تخشى الحادث؟

- لم لا؟ سأتصل بالمستشفيات.

وركض نحو مكتب الاستقبال.

- ربما كان ابني على حق... غريب ان تختفي هكذا... تعرف أننا نقلق عليها.

آه... ها هو السيد راند الجذاب... ربما إقترح علينا حلاً.

إستمع ستيفان بجدية الى قصة السيدة ستيفسنت ثم إلتفت نحو ساره:

- هل أخذت اختك حقيبتها عندما خرجت؟

- أعتقد ذلك... أنا متأكدة، تركت حقيبة البحر لكنها أخذت حقيبة يدها.

- إذن معها تذكرة هويتها وجواز سفرها... وأشياء مماثلة.

- لا أدري... أنجيلا مرتبة جداً، لا تحمل الكثير من الأوراق معها.

تدخلت السيدة ستيفنست في الحديث:

ـ عليها على الأقل ان تحمل جواز سفرها.

ـ إنها تتركه دائماً في غرفتنا وتقفل عليه بالمفتاح.

ـ هذا غاية في الوقاية... كيف تختفي هكذا دون إعلامكم؟ اعتقد اننا نستطيع ان ننتظر قليلاً قبل المبادرة في البحث. إذا لم تعد بعد الغداء....

وتوقف ستيفان عن حديثه عندما رأى التاكسي يتوقف أمام الفندق. فصرخت السيدة ستيفنست:

ـ آه... ها هي، يا الهي... الحمد لله على راحة بالنا، رونالد انها هنا. وكان منظر أنجيلا اكبر دليل على عدم اكتراثها عند خروجها من التاكسي وفي طريقة دفع اجرة السائق، كأنها لم تشك في حالة القلق التي انتابتهم خلال غيابها. عندما ركض رونالد وأمه ليسألاها عما حصل لها، كانت بعيدة كل البعد عن الاعتذار.

ـ لم يكن هناك اي داع للقلق. فأنا راشدة وبامكاني الاهتمام بنفسي.

فرد رونالد وهو يمسح قطرات العرق عن جبينه:

ـ كنا سنفقد عقولنا يا انجي.

لاحظت ساره مسحة من المقت تمر على وجه أختها، لكنها خبأتها بسرعة:

ـ آه، رونالد... اعتذر يا حبيبي، فإهمالي لا يغتفر.

ـ ولكن اين كنت؟

ـ ذهبت لشراء بعض الحاجات... ثم توقفت ساعتي عن الدوران ولم أنتبه للوقت. وكأن هذا التصريح الأخير اعاد الى رونالد إبتسامته وقال:

ـ هل تعرفين انك بحاجة إلى حارس خاص يا حبيبتي... هل

هذه تصرفات فتاة؟ الإختفاء طيلة اليوم من دون التفكير بقلق الآخرين. أتساءل كيف استطيع تحمل صدمات مماثلة. وأنت يا راند؟

فأجاب ستيفان بأدب لكن ساره شعرت بأنه، مثلها، يشك بأمر غياب أنجيلا:

ـ أتساءل أنا ايضاً عن هذا... المعذرة، يجب ان أترككم الآن.

وأمسك رونالد بذراع أنجيلا قائلاً:

ـ كلنا بحاجة لشرب شيء الآن. في المرة المقبلة، عندما تدورين في المخازن، يا عزيزتي، سأكون بقربك متتبعاً خطواتك.

لم تستطع ساره التكلم مع أختها بهدوء الا بعد الغداء، اذ ان رونالد قرر الذهاب الى البحر والتعويض عن سباحة الصباح، بينما فضلت والدته زيارة فور شارلوت بصحبة ساره.

ـ ماذا حدث حقاً هذا الصباح يا أنجيلا؟

ـ لقد اخبرتك... لم أنتبه لمرور الوقت.

ـ ارجوك أنجي... حتى لو توقفت ساعتك فالشوارع مليئة بالساعات، والجدير بالذكر أني رأيتك تعبئين ساعتك بعد الفطور.

فالتفتت أنجيلا الى اختها صارخة:

ـ لا تناديني أنجي.

ـ أعتذر... لا بد أني تعلمت هذا الاسم من رونالد.

ـ انسي هذا الاسم، إسمي أنجيلا وليس أنجي.

ـ حسناً لا داعي للغضب.

تنفست أنجيلا بقوة بعدما هزت كتفيها علامة الندم.

ـ اعذريني يا حبيبتي، في الواقع عندي صداع هائل مؤلم.

ـ سأحضر لك الدواء.

ذهبت ساره لتجلب كوباً من الماء لأنجيلا وعندما عادت، وجدت

اختها متكئة على طرف طاولة الزينة وذقنها بين يديها والتعابير الحالمة تكسو وجهها فتمتمت وهي تشرب الدواء:

- شكراً يا صغيرتي، معك حق ساعتي لم تتوقف عن العمل واخطأت في الاختفاء هكذا...

لكنني كنت بحاجة للبقاء وحدي للـ... للتفكير.

- هل تقصدين أنك غيرت رأيك فيما يتعلق برونالد؟

لم تجب أنجيلا بل اخرجت بعض المرهم من الانبوب.

- اسمعي يا أنجيلا، لا تغضبي... لكني يجب أن أقول لك شيئاً، اذا بدأت تفهمين بأنك لا تستطيعين الزواج من رونالد، عليك أن تخبريه بذلك... كان قريباً من الجنون هذا الصباح بسبب قلقه عليك. من الخطأ أن تشجعيه يا أنجيلا. ربما صدمته جدياً.

بالرغم من هدوئها وضياعها الممزوجين، سمعت أنجيلا كلام اختها وضحكت بحزن عندما أنهت ساره جملتها:

- القلوب لا تكسر يا حبيبتي... إنها تنطوي قليلاً ثم تستعيد حجمها الطبيعي.

- لكن لا داعي لجرحه بلا جدوى.

أخبرت ساره اختها عن الحديث الذي دار بينها وبين والدة رونالد على الشاطىء ثم اكملت:

- إذن... هل يستحيل عليك تكملة هذه العلاقة؟

- طبعاً أستطيع... وأنوي القبول بالزواج منه عندما يعرضه علي. خاصة بعد بروز عائلة لانغدن اوين... فكلما اسرعنا كان ذلك افضل. بيني وبينك اعتقد أن كلام هذه العائلة لن يغير كثيراً في مجرى علاقتي برونالد لأنه متيم في حبي، لكنني لن أتأكد الا بعدما ارى المحبس في يدي. واذا أعادت والدته الحديث بعد الظهر، افهميها بطريقة غير مباشرة وبلباقة، بأني مغرمة متيمة بحب

ابنها.

صدمت ساره من هذا الحديث:

- ولكن... أنجيلا.

- هذه حياتي يا ساره... أنا حرة فيها. استطيع ان أسيرها كما أريد. لن تغيري رأيي مهما قلت. والآن، فلنسرع، ارجوك.

بعد ظهر ذلك اليوم، حملت ساره ثقل حزنها وألمها معها، وهي تدور مع السيدة ستيفنسن في فور شارلوت وتتبعها في الغرف، تحت الأرض، في تلك القلعة القديمة. عرفت بأن حقدها على قرار أنجيلا لا نفع منه لكنها لم تستطع الا ان تفكر بضعفها وقبولها قرار السفر مع اختها... والا لما وصلتا الى هنا.

عندما عادت الى الفندق كان رونالد ما زال على الشاطىء مع أنجيلا. ارادت والدته ان ترتاح ساعة قبل حفلة المساء ونصحت ساره بأن تفعل مثلها. لكن الشابة، بعدما أخذت حمام وطلت اظافرها، لم تشعر برغبة في النوم او في البقاء وحدها مع أفكارها. فارتدت فستاناً ليلكياً ناعماً ونزلت. فكرت بالذهاب الى غرفة المطالعة لتطلع على بعض المجلات الاميركية لكنها رأت المقهى ما زال يعمل فجلست هناك وطلبت مزيجاً من عصير الفواكه المثلجة.

وما ان جلست على طاولة في زاوية المقهى حتى دخل رجل وسيدة متقدمان في السن، وجلسا على الطاولة المجاورة. في بادىء الأمر، لم تكترث لهما، لكن سرعان ما لفت انتباهها جملة قالتها السيدة:

- هذا شيء عظيم بالنسبة اليها يا روبرت. فاليري اصبحت في الخامسة والعشرين وحان الوقت لكي تتزوج.

ففكرت ساره بان هذين هما بلا شك والدا فاليري لانغدن اوين،

فأخذت تستمع الى الحديث باهتمام بالغ:

ـ هذا الأمر يتعلق بك يا عزيزتي. لكننا لن نراها بكثرة اذا استقرت هنا.

ـ علينا الرضوخ للأمر، الأهم هو ان تستقر... المشكلة هي ان الجميع في بلدنا يعرفون بمغامرتها مع وودوارد.

ـ يا له من احمق. اود لو اضع يدي عليه.

ـ لا داعي لفتح الدفاتر القديمة يا روبرت. لكن لسوء الحظ، عندما تدخل الفتاة في مسألة طلاق بشعة مثل هذه، تفقد الأمل في الزواج من رجل تحلم به. نشكر الله لأن فاليري نسيت هذه المأساة عندما تعرفت على ستيفان.

ـ هل تعتقدين انه مغرم بها؟

ـ اعتقد ان امرها يهمه... الباقي يتوقف عليها.

وقفت ساره وخرجت بسرعة من المقهى. كانت شبه مريضة من شدّة القرف. لم تستطع ان تفهم كيف يتكلم الأهل بهذه الطريقة عن ابنتها. لقد كفاها تفكير اختها السطحي بأمور كهذه... لكن الأهل الذين يفكرون بزواج ابنتهم بهذه الطريقة هذا مثير! شعرت بأنها محاطة بأناس، باستثناء آل ستيفنسنت، لا يعني الحب والشعور لهم شيئاً... بعد العشاء إقترح رونالد مشروع الذهاب الى السينما. لكن أنجيلا اعتذرت بسبب الصداع وصرحت بأنها ستذهب وتنام فوراً. الفيلم المقترح كان الملحمة الأكثر دراماتيكية وحزناً في تاريخ سينما تكساس... وبالرغم من صوت اوراق الشوكولاته التي ابتلعتها السيدة ستيفنسنت اثناء الفيلم، ومن غضب رونالد من جراء غياب أنجيلا، امضت ساره سهرة ممتعة، كانت تعشق افلام الكاوبوي وخلال ساعة ونصف، استطاعت نسيان مشاكلها والاهتمام بمشاكل الممثلين وادوارهم. ولما عادت الى الفندق،

شربت كوباً من العصير، وشكرت آل ستيفنسنت وصعدت... دخلت الغرفة بهدوء حتى لا توقظ أنجيلا ففوجئت بالسريرين فارغين، دخلت الحمام وخرجت الى الشرفة لكنها لم تجد احداً... ثم لاحظت ورقة على طاولة التجميل.

ـ ساره حبيبتي، لا استطيع ان انام... سأخرج قليلاً واقوم بدورة على الشاطىء، ارجوك لا تخبري رونالد وإلاّ أخبر الدورية البحرية وعساكر المنطقة وبوليس الشاطىء... أنجيلا...

طوت ساره الورقة ورمتها في سلة المهملات... كانت متأكدة من ان هذه السطور تخبىء قصة... وتأكدت من شكوكها عندما فتحت الخزانة، فالثوب الناعم الذي ارتدته أنجيلا اثناء العشاء كان معلّقاً... لكن الثوب المفقود هو الحريري الأبيض الأنيق الذي لم ترتده أنجيلا حتى اليوم، تاركة اياه لمناسبة مهمة... الصداع اذن كان عذراً، ويبدو انهم ما ان ذهبوا الى السينما حتى صعدت أنجيلا الى الغرفة وارتدت اجمل ما عندها وذهبت لتلهو وتتسلى على طريقتها... بقي سؤلان: مع من سهرت أنجيلا؟ وما هو السبب او الهدف؟ في نهاية الأمر، وبعدما حاولت ساره ايجاد الاجوبة حسب المعطيات التي لديها، توصلت الى ربط حادثة غياب اختها في الصباح مع سهرتها في المساء... ماذا لو التقت أنجيلا بأحد اعجبها وقبلت لقاءه؟ هذا لم يكن ممكناً فقط بل مرجّواً، لأنها، اذا قامت بهذا المجهود للقاء ذلك الانسان، فهذا يعني انه يعجبها لدرجة تستطيع ان تحبه.

عندما عادت أنجيلا الى الغرفة، كانت ساره نائمة... وفي اليوم التالي تفادت التكلّم عن الرسالة التي تركتها على الطاولة. لكنها لاحظت بأن أنجيلا كانت تغني في الحمام وبأنها من وقت لآخر، وبينما هي ترتدي ملابسها، كانت ترتسم على شفتيها ابتسامة سرية،

خفية، غير معهودة... وقبل النزول الى شرفة الفندق لتناول الفطور، حيث ينتظر الباقون مع لائحة مشاريع اليوم، انسحبت ساره وذهبت الى غرفة الهاتف لتتصل ببيتر لازلو:

- آلو بيتر. انا ساره غوردون. هل باستطاعتك اعطائي درساً في التزلج المائي. درساً أدفع تكاليفه لك.

على عكس نبرة صوتها المازحة، رد بيتر بجدية:

- أخشى ان اكون منهمكاً طوال النهار يا ساره. انتظري لحظة، سأرى مواعيدي على دفتري.

وهي تنتظر عودته، تفحصت ساره مظهرها على زجاج غرفة الهاتف الشفافة. كانت سمراء حقاً ولونها الجديد اعطى قيمة اكبر لأسنانها البيضاء ولعينيها الرماديتين.

وعاد بيتر وقال:

- أعتذر يا ساره، لأني مأخوذ حتى الساعة السادسة... وغداً ايضاً.

- حسناً لا بأس... سأحاول الاتصال بأحد منافسيك.

وتوقعت ان يعرض عليها السهر معه لكنه لم يفعل.

- أعتذر لأني ازعجتك... الى اللقاء.

- انت لا تزعجيني... الى اللقاء يا ساره.

اقفلت ساره الخط متعجبة من برودته معها. مر اليومان التاليان بهدوء. لم تتغيب أنجيلا عن الفندق، بل على العكس. ظهرت في غاية الطيبة والاغراء مع رونالد مما خيب أمل اختها وجعلها تخشى ان يطلب يدها بين لحظة واخرى... كانت كلما رأت ستيفان، رأت بصحبته فاليري لانغدن اوين، على متن باخرته، يضحك معها في المقهى او جالساً بصحبة اهلها على شرفة الفندق، يتعشون... فتساءلت اذا كان يشك بنية السيدة اوين فيما يتعلق به وبالتالي كان

معهم لتمضية الوقت، او انه كان فعلاً مغرماً بفاليري ويود الزواج بها.

٥- المفاجأة

في اليوم الثالث، خرجت ساره وحدها، فالباقون ذهبوا الى ميدان سباق الخيل هوبي هورس هول. أما هي ففضّلت التنزه وزيارة مخازن باي ستريت. اخذت تتأمل المجوهرات المعروضة والاحجار الكريمة من الجاد والعاج وغيرها وتتساءل عن الشعور الذي ينتاب الاغنياء عندما يكون بمقدورهم شراء كل ما يريدون... وفجأة رأت بيتر لازلو يتجه نحوها:

- صباح الخير يا بيتر.

- ساره؟ آه كيف حالك؟

ردّ عليها التحية لكنه لم يرد لها ابتسامتها. فخيل اليها أنه غضب من لقائها...

فقالت لتكسر ثقل الصمت بينهما:

- لقد أنفقت ٥٠٠ ليرة استرلينية على الحلى... ولكن بالخيال فقط بعض هذه المخازن مقتصرة على الأثرياء...

فبدا على وجه بيتر الارتياح نوعاً ما.

- هكذا اذن... تلعبين دور الصبية المتزوجة من الرجل الكهل الوفير الثروة، الذي لا يرفض لك طلباً؟

ابتسمت ساره... فلو كانت المناسبة مختلفة لأجابته، لكنها فضلت أن تحمل جملته محمل المزاح:

- علي أن أعود... لدي حاجات أشتريها.

- لا ياساره، انتظري... هل لديك بضع دقائق، يجب أن أقول لك شيئاً.

- ماذا؟

- ليس هنا، تعالي نجلس في مقهى ما، أرجوك.

- حسناً، لكني لا أستطيع أن أتأخر.

امسكها بذراعها وسألها وهما يمرّان من أمام مخزن الجواهر.

- هل هذا هو المخزن الذي بذّرت فيه أموالك؟

- نعم... لكني لست معجبة بأثمن الحلى... فقد أعجبني هذا السوار العاجي الصغير.

- اذن لماذا؟ لا تشترينه؟

- أوه... لأني أملك أشياء كثيرة مثله، علي ان أتعلّم كيف أتحكّم برغباتي الشرائية.

حاولت ساره اخفاء الحقيقة... لا تستطيع شراءه، لأن المال ينقصها. ذهبا وجلسا على شرفة أحد المقاهي وطلب بيتر قهوة مثلّجة، واشعل سيكارته فسألته ساره بحشرية:

- ماذا تريد اخباري؟

فتردّد لحظة واصابعه الناعمة تعبث بالولاّعة ثم قال:
- لقد زارتني أختك ذلك اليوم.
- أنجيلا؟
- أنا أيضاً دهشت.
- لكنها لم تخبرني بشيء.
- لأن الأمر سريّ بالنسبة اليها.
- أي يوم كان؟
سألت متعجبة ممّا يقول بيتر.
- كانت معك اذن.
- لم ترد أن اخبرك يا ساره. ولو لم ألتق بك اليوم، لما فتحت الموضوع أمامك.
ولكن عندما اتصلت بي، شعرت بأنني جرحت شعورك.
- لم تجرحني فعلاً، لكني وجدتك بارداً... كما أنك لم تفرح عند رؤيتي اليوم.
- ثقي بأن صداقتي لك ما زالت موجودة، لكني وعدت أنجيلا بعدم رؤيتك.
- وعدت أنجيلا... ولكن... ما معنى هذا؟
- يخيّل الى أختك أني مهتم بك بسبب مالك. فأكّدت لها أنها مخطئة، لكن لم تصدقني... وفي النهاية، وبعد جدل طويل، توصّلنا الى اتفاق.
- هل تقصد أنها دفعت لك مالاً كي لا تراني؟
امتقع لون ساره ثم تمالكت نفسها وشدّت على أصابعها:
- نوعاً ما... لا، لا تذهبي بعيداً بأفكارك يا ساره... لم يكن الأمر مادياً.
- ما هو اذن؟

- قبلت بعدم رؤيتك ووعدت أنجيلا، بعد ما قبلت أختك بالسهر معي...
فتحت ساره عينيها على مداهما:
- ماذا؟ ولكن لماذا؟ لا أفهم.
- الأمر سهل يا صغيرتي... منذ اللحظة الاولى التي رأيتها فيها، شعرت بجاذبية حادة نحوها.
- نحو أنجيلا؟ لكنك لم تعجبها. لمست ذلك بنفسك. فهي لا تعيرك أي احترام.
فضحك بيتر بصوت مرتفع.
- آه يا ساره، كم أنت بريئه، السبب الذي تجاهلتني أنجيلا من أجله هو شعورها بالجاذبية ذاتها نحوي... وهذا الشعور أرعبها، لذلك جاءت لتراني لأنها خافت عليك، ولأنها لم تستطع مقاومة رغبتها في رؤيتي... تماماً كما تجذب النار الفراشة.
ألقت ساره رأسها على مسند الكرسي الذي جلست عليه، وحرّكته لتعي ماذا يحدث وتستفيق من دهشتها... ما قاله لها بيتر الآن كان غير متوقّع لدرجة جعلتها لا تصدق.
- هل تعني أنك تحبها؟
- الحب كلمة تحمل فيها أكثر من شعور وأكثر من احساس... بالنسبة الى فتاة ناعمة مثلك، يدخل الحب في اطار مغامرة حلوة هدفها الزواج. لا أعتقد أنك تسمين حباً ما نشعر به.
- ماذا سيحدث الآن؟ هل ستراها مجدداً؟
- القرار عائد لها... عندما يفعل الانسان أشياء تتناقض مع مبادئه يجب أن يجد مبرّرات لما يفعل.
تساءلت ساره عن طريقة تفكير بيتر بالمبرّرات التي تختلقها أنجيلا لرؤيته... فسألها بيتر بنعومة:

- أما زلت غاضبة بعدما عرفت الحقيقة؟ هل تعتقدين أنني خنت صداقتنا؟

- لا... أنا فقط مندهشة. أنت وأنجيلا؟ كنت مقتنعة بأن احدكما يكره الآخر.

- لانك لم تمري بالتجارب الكافية بعد. ولأنك تحكمين على المظاهر. ستتعلّمين يوماً بأنّ الشخصين الذين يشعران بجاذبية قوية يفتعلان عدم الاكتراث في بداية الأمر...

في معظم الأحيان، لا يعيان حقيقة مشاعرهما لكن حدسهما يحميهما.

فتمتمت ساره متنهدّة:

- الحياة معقّدة أحياناً.

فضحك بيتر ووضع يده على يدها محاولاً حمايتها وتهدئتها:

- لا تأبهي، ولا تقلقي، لن تكون معقّدة بالنسبة إليك، ستلتقين بلا شك الرجل الذي تحبين وسيخفق له قلبك بسرعة وستعرفين أنه هو الذي تحتاجين اليه، سيطلب منك أن تتزوّجيه وستقبلين... وكما في الروايات والحكايا، سترزقان بعدد كبير من الأولاد وتعيشون سعداء هانئين.

- هل تعتقد ذلك؟

- أنا متأكد...

وتابع وهو ينادي الخادمة ليطلب الحساب:

- ما عليك الاّ الانتظار... سأتركك الآن، والاّ تأخرت عن درسي...

للأسف، لن أستطيع ان أعطيك دروساً مع كونك تلميذة ممتازة تعد بمستقبل باهر.

- شكراً على كلامك يا بيتر... أنا مسرورة لأنك فسّرت لي كل

ما حدث.

أخذ يدها وقبّلها قائلا:

- الى اللقاء يا ساره... انتبهي الى نفسك.

عندما ذهب، نزلت ساره الى الشاطىء محاولة التفكير بما اكتشفته. كانت تجد صعوبة في تصديق علاقة أختها ببيتر... كيف ترفض هذا الرجل لخوفها منه ومن جاذبيته؟

وهي غارقة في أفكارها وسط ضوضاء الشواطىء الملآنة، التي كادت تضيع فيها مشياً لو لم تمسكها يد سمراء قوية وتوقفها:

- هذا ليس المكان المناسب للغرق في الأحلام... هناك خطر الوقوع في المرفأ.

نظرت ساره الى ستيفان راند بعد ما انقطع حبل أفكارها، وفجأة، وبعد ما حاول مسك ذراعها لابعادها عن عربة خضار مرّت قربها، شعرت برعشة قوية... كانت تستعيد كلمات بيتر: عندما يلتقي شخصان يشعران بجاذبية قوية، يفتعلان عدم الاكتراث في بداية الأمر... في معظم الاحيان لا يعيان حقيقة مشاعرهما، لكن حدسهما يحميهما... اذن هذه هي الحقيقة، هذا هو سبب ارتباكها ورعشتها... عرفت في لا وعيها أنها منذ اللقاء الأول، في هذا المرفأ بالذات، وقعت في حب ستيفان!

فسألها متعجّبا:

- ما بك؟ تبدين ممتقعة اللون.

- لا، لا شيء... لقد فاجأتني.

- لو دقّ رأسك في احدى البواخر الراسية لكانت مفاجأة أكبر. هل أنت وحدك؟

- نعم. لقد ذهب الباقون الى سباق الخيل.

- وهل كنت متجهة نحو الشاطىء؟ لقد ذهبت الباخرة التي تقل

الركاب... سأوصلك بنفسي.

- لا.

جاء رفضها لا شعوريا لدرجة أدهشت ستيفان الذي لم يقل شيئاً.

- لا... لست ذاهبة... أعني... كنت أنوي الذهاب لكني غيّرت رأيي. لقد قمت ببعض المشتريات.

- حسناً، فلنذهب اذن في نزهة.

وقبل أن يترك لها المجال للرد أو الرفض، امسكها ومشى معها حتى وصلا الى قارب صغير ثم ساعدها على النزول اليه. فسألته بعد ما صار في عرض البحر:

- كم باخرة وقارباً تملك؟

كان هذا أول سؤال مرّ في رأسها... سألته ونفسها يتسارع كأنها امضت يومها بالحركة والسباحة ولم ترتح بعد.

- هذا القارب هو ملك الفندق، الباخرة لي ولدي يخت صغير في فلامنكو.

- لا شك بأن المراكب الشراعية مسليّة.

- جداً... خلال شهر آذار/مارس يتم سباق قوارب وهذا أكبر حدث في السنة. كل القوارب تتجه نحو الجنوب لتنطلق من هناك ويبدو مرفأ جورجتاون لكثرة القوارب فيه، وكأنه قرية عائمة.

فكّرت ساره: آذار/مارس... أين ستكون في آذار؟ في لندن بلا شك وأكثر تعاسة من قبل... ولن يتذكّر ستيفان حتى اسمي...

واذ به يقاطع أفكارها ويسألها:

- كيف حال دروس التزلج المائي؟

- لم أكمل تماريني. ليس لدي الوقت.

- أليس لدينا كل الوقت في العطلة اجمالاً؟

- فهمت ماذا أعني؟

- تعنين أنك مرتبطة بآل ستيفسنت.

- لديهم دائماً الكثير من المشاريع للنهار. وليس لطفاً مني أن أتركهم لأنهم كانوا لطفاء جداً معنا.

- الفنادق مثل بواخر الشحن... أول انسان يضع يده عليه هو الذي يحصل على أكبر محصول منه. أنا لا أتّهم ستيفسنت لكني متأكد من أن عطلتكما كانت مختلفة بدونها.

- لا أدري... ربما كانت عطلتنا أقلّ لهوا... وكانت سهراتنا أقل.

ابتسم ستيفان على أثر جملتها.

- كثيرون في ناسو يودّون الخروج معكما.

كان البحر رائعا في ذلك اليوم... أشعة الشمس أسدلت ألوانها عليه وأعطته اللون الزهري الممزوج بالأزرق والأحمر والأصفر وأخذت تختفي تحت أمواجه... عندها وصل ستيفان وساره الى الشاطىء... كانت تجلس وراءه وتتأمل جسمه تحت السماء الزرقاء... شعره الأسود القصير وبنيته القوية وبالرغم منها، أرادت تسجيل كل تفاصيله الدقيقة التي استطاعت تدوينها وهي بصحبته...

- على فكرة يا ساره، في الاسبوع المقبل، ننظّم حفلة تنكّرية على أحد الشواطىء.

أنصحك بالبدء بالتفكير بالزي... هناك مخزن في المدينة يؤجر ثياباً من هذا النوع. بعض النساء يعذّبن أنفسهنّ ويخترن ثيابا معقّدة... الأفضل هو الأبسط، فاختاري ثياباً تتحمّل التراب والماء.

- كيف نذهب الى هذه السهرة؟

- نستأجر بواخر اضافية تنقل الناس فيها. عليك أن ترتاحي بعد

ظهر ذلك اليوم لأن الحفلة تنتهي في الساعات الأولى من الصباح.

- بأي زي ستتنكّر؟

- لا أدري... لا شيء مهم جداً. ليس في عادتي الذهاب الى حفلات كهذه، لكني سأكون هناك هذه السنة.

قفز قلب ساره ثم عاد الى طبيعته... سيكون بسبب فاليري...

وعندما عادت الى الفندق، أول من التقت به كان فاليري لانغدن اوين. كانت على الشرفة بصحبة شاب مهتم بها. وما أن رأت ستيفان حتى قاطعته:

- ستيفان... فتّشت عنك في كل مكان، تعال واشرب معنا شيئاً... أقدم لك غي كاستيل، ستيفان راند.

فوقف غي كاستيل مسروراً لأنه بصحبة فاليري، وسلّم على ستيفان ووضع كرسياً لساره.

واكملت فاليري بعد ما جلس الجميع:

- ستيفان، الكاميرا التي معي معطّلة. فهلاّ أصلحتها لي؟ أنا متأكدّة من أنّ العطل بسيط لكني لا أفهم شيئاً في الميكانيك.

فاذ بغي كاستيل يقول:

- استطيع اصلاحها لك يا فاليري، فهذه هوايتي الأساسية.

- أحقاً؟

وأدارت ظهرها لتتوجه بالحديث الى ستيفان:

- ماذا فعلت بعد ظهر اليوم؟

- تنزّهت في القارب، بكل بساطة.

فنظرت فاليري الى ساره، بتمعّن، هذه المرّة وبطريقة تنتبه اليها النساء فقط، وسألت:

- هل تبدأ عطلتك يا آنسة غوردون أم هي على وشك الانتهاء؟

فعرفت ساره أن فاليري اكتشفت نوع وسعر ما ترتديه ودرست كل التفاصيل الماديّة المتعلقة بها وأجابت باتزان:

- سنبقى عشرة أيام اخرى، وأنت؟

- مشاريعنا غير واضحة.

ففهمت ساره الأسس التي توضح مشاريعها وفجأة ظهرت أنجيلا من باب مقهى الفندق، أنيقة ونضرة:

- آه، أنت هنا يا حبيبتي.

ووقف الشابان وقدّم ستيفان أنجيلا للجميع ودعاها للجلوس معهم.

- هل تودين شرب عصير ما أو مشروب ساخن؟

- ليموناضة ومعها عدد كبير من قطع الثلج... لقد أمضينا كل النهار في ميدان السباق.

كان الطقس شديد الحرارة ناهيك عن الغبار.

وجود أنجيلا أدهش ساره خاصة وأنها رأت فاليري على الطاولة، لكنها فرحت عندما رأت أن جمال فاليري الاصطناعي اختفى أمام نضارة اختها الكبرى... تابعت فاليري الحديث:

- أنا أعرف أن رأيي رجعي جداً، لكني أكره سباق الخيل... كل السباقات تضجرني... آنسة غوردون، أنا متأكدة من أنني رأيتك قبلا... هل تسكنين لندن؟

التقطت ساره أنفاسها اثر هذا السؤال لكن أنجيلا بدت مرتاحة للغاية. وبعد ما خلعت قبعتها الثمينة ورمتها على الطاولة بدون اكتراث، وكأنها تتساوى بنظرها مع أي قبعة صوفية قالت:

- عندنا منزل في لندن.

لكن فاليري أصرّت:

- يبدو لي أني أعرف ملامحك.

- يخلق من الشبه أربعين.

وأضافت أنجيلا بعد أول جرعة ليموناضة:

- آه... هذا لذيذ جداً ومنعش.

لم تقل فاليري شيئاً وفهمت ساره بأن أنجيلا على حق... المسألة مسألة وقت قبل أن تتعرّف عليها فاليري... بعد ذلك اعتذر ستيفان ولحقته فاليري بصحبة غي.

- ماذا كنت تفعلين مع هؤلاء الثلاثة؟

ففسّرت ساره لكن أنجيلا لم تسمع ولم تعلّق على خروجها مع ستيفان:

- أنا، أمضيت وقتاً ممتعاً. كان يجب أن ألعب لأربح، فراهنت على خيول ربحت... الحياة هنا ممتعة حقاً... وتمكننا من معرفة تعاسة وحزن حياتنا القديمة.

- بعد مرور وقت على هذه الحياة، وعندما تصبح قديمة، ستجدينها بلا شك مملّة وتعيسة. فربما لم تلاحظي أنه بالرغم من الفراء والجواهر الماسية، لا تعبّر وجوه الناس هنا عن فرحة كبيرة.

- مشاكلهم مشاكل قرحة أو زيادة وزن... تعالي لنبدّل ملابسنا. أرجو أن تكوني قد لاحظت بأي عدم اكتراث تخلّصت من هذه المخلوقة المزعجة. أما أنا فلن تنقصني الأناقة والمجوهرات بعد اليوم.

أخذت كل واحدة منهما حماماً وحضّرتا ملابس المساء عندما قالت أنجيلا بهدوء:

- آه، بالفعل، نسيت أن أخبرك بان رونالد طلب يدي بعد الظهر.

فاستدارت ساره نحوها:

- أنجيلا، بماذا أجبت؟

فضحكت أنجيلا بقوة:

- لقد أخطأت في اختيار مهنتي... كان عليّ أن أختار التمثيل المسرحي. في البداية تفاجأت ثم تلبكت وفي النهاية رجوته أن يترك لي وقتاً للتفكير... رونالد أكيد تقريباً من جوابي... تقريباً...

فصرخت ساره:

- كيف تستطيعين أن تكوني مجرمة قاسية بحق الناس الى هذه الدرجة؟

- اسمعي... من غير المعقول أن اوافق فوراً... فأنا لا أعرفه جيداً.

عقدت ساره يديها وصمّمت على صنع المستحيل لاقناع اختها بالعدول عن مشروع الزواج من رونالد، فسألت:

- وبيتر؟

- بيتر؟ أي بيتر؟

لكنّ بريقاً عبر في عيني أنجيلا قبل استدراكها... لاحظته ساره من خلال المرآة:

- التقيت بيتر لازلو في الطريق اليوم وروى لي كل شيء.

- وهل غضبت؟ لقد فعلت هذا من أجلك يا حبيبتي.

- كنت صدّقتك لو لم يفسر لي العامل الذي من أجله زرته.

- أي عامل؟ زرته لأطلب منه أن يدعك وشأنك... هذا كل ما في الأمر.

فردّت ساره بهزء:

- حظي كبير... لدي اخت تخاف عليّ لهذه الدرجة. لكنك نسيت تفصيلاً صغيراً... أنا فعلا شابة وبسيطة وطيّبة القلب... لكن بيتر لازلو مختلف عني... وكما يقول، لم تكوني لتقبلي باتفاق كهذا لو لم تشعري سرّياً بجاذب نحوه. أنت تبادلينه شعوره

نحوك...

فشعرت أنجيلا أنها وقعت في الفخ:

- ما هو شعوره؟

- كنت متأكدة من سؤالك... فلو كنت فعلاً غير مكترثة به، لاكتفيت بحركة أكتاف... انه يحبك يا بلهاء.

بعد لحظة صمت، كانت ردّة فعل أنجيلا غير متوقّعة، فقد تنهّدت طويلاً وحرّكت رأسها.

- حسناً... أعترف انني شعرت بجاذبية كبيرة نحو بيتر... لم أعرف أن الأمر سيوصل بي الى هنا، ولكن... هذا ما حدث.

- اذن، لماذا لا تكونين معه؟

- لأن علاقتنا لن تدوم... فالذي بيننا ليس حباً كما تتصوّرين، لكنه جاذب حسي قوي... فبعد هدوء العاصفة لن يبقى شيء.

- طبعاً فالعاطفة والشغف لا يدومان... فلا تعتقدي أنّ الناس المتزوجين منذ عشرين سنة يرتعشون بمجرّد أن ينظر احدهما الى الآخر؟ الحب يهدأ... لكن لكي يهدأ يجب أن يكون عاصفاً في البداية.

كانت ساره تتكلّم بلهجة اقناع قويّة جعلت أختها تتساءل عن السبب.

- أنت على حق يا ساره، لكن بين الحب والجاذب عالم مستقلّ.

- كيف تعرفين أن ما يحدث بينك وبين بيتر مجرد جاذب عابر؟ لا تستطيعين معرفة ذلك الاّ اذا عاشرت بيتر وتعرّفت على الأشياء التي يجب قراءتها وسماعها، واطّلعت على تفاصيل حياته التي تتقارب أو تتنافى مع شخصيّتك... لا حق لك في رفض كل هذا مسبقاً.

- كفى يا ساره. لست محتاجة للانتظار كي أعرف أن هذا مستحيل. بيتر غريب، لا جذور له، يعيش ليومه، بعد ستّة أشهر

سيكون في طريقه الى البرازيل ليبحث عن الزمرّد أو يرحل الى بقعة اخرى من العالم.

- لا، ليس في حال استقراره وزواجه من امرأة يحبها... فبيتر ليس مغامراً، وهذا واضح عليه.

الحياة هي التي أجبرته على هذا الوجود الضائع التائه... ولو كفاه حبّك لتغيّر كيانه.

- لا يغيّر الحب الناس... اذا أحببت شخصاً، قبلت به على حاله، ثم اني أردّد أنني لا أحبه... فأرجوك تركي وشأني.

انتهى الحديث بين الاختين مع هذه الجملة واخذت أنجيلا كيس التجميل ودخلت الى الحمّام مغلقة الباب وراءها بقوة.

بعد أربع ساعات، ندمت ساره على الحديث الذي دار مع أنجيلا. كان أفضل لها لو صمتت... بعد أن رأت رونالد يعود مشرقاً من نزهة بعد العشاء بصحبة أنجيلا... وبفرح منقطع النظير قال لها:

- ساره، عزيزتي... لقد أصبح لك صهر أميركي.

في اليوم التالي، نزل رونالد مع أنجيلا الى السوق واشترى لها خاتم خطبة رائعاً من الزمرد المحاط بالماس ومعه الحلق والعقد المناسبين. وعندما صعدت ساره الى الغرفة لتغسل يديها قبل الغداء، وجدت الغرفة مليئة بالازهار وكأن رونالد اشترى كل ما يخطر على البال من أنواع الازهار وألوانها اضافة الى علبة شوكولاته كبيرة وزجاجة عطر جوي من جان باتو.

قبل العشاء شرب كل نزلاء الفندق نخب العروس والعريس، على حساب السيد ستيفنست الذي قدّم هدايا لوالدته ولساره ممّا زاد في انزعاج الأخيرة. فقالت والدته وهي تقفل سوارها الذهب الجديد:

- رونالد... ما هذه اللفتة الحلوة منك... أنا متأكدة أن هذا ذوق أنجيلا.

أما هدية ساره فكانت عقداً من اللؤلؤ الأصلي الجميل.

- شكرا رونالد، هذا لطف بالغ منك.

- هذا شرف لي ياعزيزتي. ستشعرين ببعض الوحدة يا ساره، اليس كذلك؟ لكن لا تقلقي فلن يغيّر زواج أنجيلا شيئاً. ستأتين وتعيشين معنا الوقت الذي تريدين.

وأضاف ضاحكا:

- أنا لم أقصد أننا سنأخذك معنا في شهر العسل. فشهر العسل لشخصين فقط، أليس كذلك يا أنجيلا؟

فوعدت والدته:

- خلال شهر العسل، سآخذ ساره الى نيويورك وأجعلها تزور كل المدينة. اين تنويان قضاء شهر العسل؟

- لم نحدّد بعد تاريخ الزواج يا أمي.

- لا أرى سبباً للتأجيل، الا اذا رغبت أنجيلا في السفر الى انكلترا لتعرّفك على عائلتها.

لستما طفلين... بل تعرفان ما تريدان، فبرأيي، باستطاعتكما الزواج فوراً.

- هذا أيضاً رأيي... ما رأيك يا حبيبتي؟

كانت أنجيلا تشرب ما يحتويه كأسها هادئة حالمة، جالسة قرب النافذة وعلى وجهها نور زادها جمالاً. رفعت يدها لتضعها على كتف رونالد... فاذ بحبّة الزمرّد تبرق راسمة على وجه أنجيلا ابتسامة اكتفاء ذاتي، ثم اقتربت منه بكل ما في الدنيا من تودّد وقالت:

- لم لا؟

خصّص رونالد قبل ظهر اليوم التالي في انهاء المعاملات الرسمية

المطلوبة لزواج أميركي وبريطانية بينما دارت والدته بصحبة أنجيلا في مخازن المدينة بحثا عن ملابس جديدة للعروس بينما نجحت ساره في التخلّص من هذه الورطة بابداء رغبتها في الذهاب الى البحر.

حوالى الساعة العاشرة، وبعد ذهاب الآخرين، كانت في غرفتها تحضّر ملابس السباحة عندما دقّ الباب... وبما أنها اعتقدت أن عاملة التنظيفات هي وراء الباب، صرخت لها بالدخول، لكنها فوجئت بستيفان راند يقول:

- صباح الخير. هل أنت ذاهبة للسباحة؟

قفزت ودارت نحوه:

- آه ستيفان، نعم.

- تعالي معي وقومي ببعض تمارين الغوص. أنا ذاهب الى فلامنكو حيث سأقضي النهار.

لأول مرّة منذ أربع وعشرين ساعة شعرت ساره بنوع من الراحة وكأن همومها زالت.

يوم بصحبة ستيفان راند في فلامنكو... هروب من الواقع...

فردّت ببساطة:

- أكون مسرورة.

ففاجأته بدورها عندما قبلت دعوته.

- حسناً، بعد ربع ساعة في المكان المعهود.

- ولكن، ستيفان، لا أملك قناعا ولا أدوات الغوص.

- لا أهمية لذلك. لدي كل ما يلزم.

بعد نصف ساعة، وبعد ما ابتعدا عن نيوبروفيدانس، وأصبحا في وسط البحر الهادىء الرائع، استرسلت ساره في نشوة الحاضر

- كم من الوقت لدينا قبل الوصول الى جزيرتك يا ستيفان؟

- ساعة تقريباً... ألا تريدين قميصاً؟

فحركت ساره رأسها بالنفي اذ كانت تهب عليها نسمات منعشة تختلط برذاذ البحر مبلّلا ذراعيها. والشمس ناعمة مما جعلها بغنى عن القميص.

ـ بعض هذه الجزر يحاط بالصخور لدرجة تصعب الوصول اليها.

أكمل ستيفان تفسيره:

ـ لحسن الحظ لجزيرة فلامنكو مدخل خاص يسهّل علينا الأمر. فهذه الصخور تخفي بين طياتها وتحتها ألوفاً من الاسماك. ويخال الناظر لأول مرة عن قرب، أنه في عالم مختلف.

ـ اعتقدت أننا بحاجة الى غواص للغوص عميقاً.

ـ نعم، للذهاب الى العمق. لكن ذلك يتطلب تمريناً قاسياً... اشك بقدرتك على النزول كثيراً أول مرة... فهناك خطر الضغط على الاذنين.

ـ ماذا يحدث اذا غصنا الى العمق؟

ـ هنالك خطر الاصابة بضعف السمع أو الدوخة أو الصداع... لكن، لا عليك، سأراقبك.

كلّمها ستيفان بنبرة جعلتها تشعر بالرعشة الدافئة تجتاح جسمها.

بعد عشر دقائق مدّ يده نحو الشرق قائلا:

ـ ها هي فلامنكو.

استطاعت من بعيد أن تلاحظ أنها جزيرة مختلفة عن غيرها... الزراعة فيها مختلفة: هناك الصنوبر والنخيل الهائل الكبير.

وهما يقتربان من شاطىء الجزيرة، فوجئت ساره برؤية سدود من الاحجار البيضاء تحيط بالخليج على شكل هلال، اضافة الى بعض الجماعات من الناس على الشاطىء، فقالت:

ـ خلت أنك تسكن الجزيرة وحدك.

ـ عندنا خمسةوعشرون شخصاً... عائلة واحدة... ما عداي.

وما أن رسى قاربه حتى ركض نحوهما ستة أطفال، سمر، لاستقبالها، يتبعهم كل سكان الجزيرة.

أول الوافدين كان رجلاً مسناً رمادي اللحية أسمر البشرة. ألقى التحية على ستيفان وانحنى بأدب أمام ساره.

ـ هذا صاموئيل جونسون. لقد أتى الى فلامنكو مع جدي وهو أحد أقدم أعضاء العائلة... سام، اقدّم لك الآنسة ساره غوردون.

ـ أهلا بك في جزيرتنا يا آنسة ساره.

قال صاموئيل الملقب بـ سام بصوت ناعم، وأكمل:

ـ أورورا في المنزل يا سيّد ستيفان. لقد حضّرنا كل شيء كما طلبت منّا.

فأمسك ستيفان بذراع ساره وقال لها:

ـ سأعرّفك على المنزل ثم نتناول طعام الغداء، وبعد ذلك نغوص...

صعد الاثنان نحو غابة صغيرة تغطّيها الأشجار بينها تبعها الأولاد قفزاً على أقدامهم، ووصلا الى البيت الذي تحيط به حديقة مزروعة في وسطها شجرة قديمة وتحيط بجذعها مقاعد خشبيّة وحولها أزهار زهرية اللون وأشجار صغيرة.

كانت السيدة أورورا جونسون بانتظارهما على عتبة الباب... انها سيدة متقدمة في السن، بنيّة اللون، سمينة ترتدي العديد من الالوان في وقت واحد، وبعد ما قدّمها لساره قال ستيفان:

ـ أورورا أفضل طباخة في الباهاماس. تضرب بأفضل طباخ عرض الحائط، لا يضاهيها أحد... لو استطعنا اقناعها باستلام مطبخ الفندق، لأصبحت غرفنا محجوزة على مدى عشر سنوات.

فضحكت أورورا بشدّة لأنّ هذه دعابة قديمة، اعتادت عليها من

ستيفان.

- أنت تعرف يا سيد ستيف اني أكره المدينة، ولو كان طبخي يعجبك لهذه الدرجة، لبقيت في فلامنكو كل الوقت بدلاً من الذهاب يميناً ويساراً.

بعد ذلك نادت أورورا زوجها وذهبت لتحضر الغداء. لم تفكر ساره يوما كيف يمكن أن يكون بيت ستيفان، لكن، عندما زارته تساءلت لماذا لم تتخيّله. كان جو البيت عائلياً جدا يعكس نفسية صاحبه. أحد الأجنحة احتوى على ثلاث غرف نوم للاصدقاء والجناح الجنوبي خصّص لستيفان وفيه غرفة نوم ومكتبة كبيرة بدّل أحد جدرانها بالزجاج الشفاف وغطي بالبرادي العصرية... عندما رفع ستيفان البرادي لتدخل الشمس، عبرّت ساره عن فرحتها بصرخة عفوية. لم تنتبه أن الغابة الصغيرة اجتازت كل الجزيرة. لكن هذه الشرفة الشفافة جعلت المكتبة تطل على منظر رائع ملوّن.

- آه، ستيفان... هذا رائع... خيالي.

- عرفت أن المنظر سيعجبك.

قدّمت أورورا الغداء في غرفة الطعام وبقيت واقفة وراءهما لترى ردّة فعلهما على أكلها...

وكانت قد حضّرت لهما وجبة هائلة اختارتها خصيصاً من بين أفضل ما تحسن طبخه وكلّلته بألذّ حلوى لديها. بعد آخر لقمة، تنفّست ساره وتنهّدت مستحسنة.

اذا فكّرت بالسباحة الآن لغرقت فوراً بلا تردّد.

- سنشرب قهوتنا في المكتبة وترتاحين بعدها ساعة من الزمن. عليّ أن أذهب لأرى أحفاد صاموئيل... أرجو ألاّ يزعجك ذلك.

- لا، بالعكس. أرجوك أن تذهب، مع أني أتساءل كيف يمكنك أن تمشي لأنك أكلت أكثر مني.

- السبب بسيط، لقد ربيت على مطبخ أورورا وأكلها.

بعد القهوة، وضع ستيفان بعض الاسطوانات وأعطى ساره بعض المجلات وتركها. لكنها اكتفت بالاستلقاء على المقعد الطويل متأملة المنظر في الخارج.

بعد لحظات قليلة، نامت ولم تستيقظ الاّ على صوت ضحكات الأطفال. وعندما فتحت عينيها وجدت ثلاثة رؤوس سمراء غريبة على الشرفة... ما لبثت أن هربت لكن الضحكات استمرّت واختفت تدريجياً قبل أن يظهر ستيفان.

عندما ارتدت ساره ثياب السباحة، نزلا معاً الى الماء وفسّر لها ستيفان طريقة استعمال ادوات الغوص طالباً منها أن تبلّل رأسها حتى يلصق القناع به. وعندما اقترب منها ليساعدها على ضبطه شعرت بحرارة جسمه أكثر من مرّة... ثم أعطاها أدوات اخرى منها الأحذية المخصّصة.

فتساءلت ساره كم وكم فتاة قبلها أتت الى فلامنكو كاي لتتمرّن على الغوص معه... وفكرة كونها واحدة بين قافلة من الفتيات جعلت هذا اليوم المشمس أسود. لكن عندما أصبحت في الماء، لم يعد لديها مجال للتفكير... فعليها الانتباه الى استعمال جهاز التنفّس وحركة الرجلين... كل هذا كان سهلاً على سابحة جيدة مثلها لكن كان ينقصها بعض التمرين والممارسة.

عندما أجادت ساره التمارين الاولى بدأ ستيفان يعلّمها كيف تقترب من الأسماك دون أن تهرب الحيوانات منها. بعد ذلك، أخذا قارباً شراعياً وذهبا نحو الصخور، حيث الغوص أصعب... وكانت أول محاولة غوص حقيقية في حياة ساره، وأول اكتشاف لها لعالم ما تحت البحار... أصبح كل ما رأته في التلفزيون بالابيض والأسود زائلاً... فغنى الألوان تحت البحر لا يوصف... ولا

يقدّره عقل. . . والاسماك الموجودة فيه غريبة بأشكالها وألوانها وأنواعها. . . وكأنها تعيش متصلة بالعالم الخارجي، منظر جميل وكأنه حلم، الا أن ستيفان أجبر ساره بعد ساعة على الصعود الى القارب فخاب أملها.

أمضيا بعد الظهر في التنقّل من جزيرة الى اخرى حتى أعلن ستيفان أن وقت شرب الشاي قد حان. لكنهما لم يعودا الى فلامنكو بل توقّفا عند جزيرة مجاورة حيث أنزل ستيفان ساره وأجلسها على صخرة، ثم وأمام دهشتها الكبيرة، وتسليته الأكبر، ارتدى ثياب الغوص وغاص من جديد. . . وبعد نصف ساعة، كانت السمكة الكبيرة التي اصطادها تطبخ في حلّة كبيرة.

عندما عادا كان البيت خالياً. فدلّ ستيفان ساره على غرفة الحمّام قائلا:

- تودّين بلا شك أخذ حمّام. لكن لا تتأخري، أريد العودة الى الفندق قبل الليل.

بعد ما غسلت ساره شعرها من ماء البحر، ونشّفت جسدها بمنشفة حمراء اللون، سمعت فجأة صوتاً آتيا من الحديقة. ثم عدّة أصوات مضطربة. فارتدت ملابسها بسرعة بعد ما سرّحت شعرها ووضعت بعضاً من أحمر الشفاه. فرأت ستيفان آتياً من غرفة الطعام فسألته:

- ماذا حدث؟

- حادث. أحد الصبية قطع ذراعه بالمنشار الكهربائي. . . أخذوه الى المستشفى بالقارب. صاموئيل يعتقد أن ريحاً ستهب هذا المساء، فلن أخاطر باعادتك الى الفندق. ستضطرّين الى تمضية الليلة هنا.

- لكني لا أستطيع.

صرخت ساره مفكّرة بقلق أنجيلا اذا لم ترها في الفندق. فردّ عليها بجفاف:

- ليس لديك أي خيار، لا داعي للجنون. أوورورا رفيقة مثالية. ولكن هدئي من روعك، سأنام في الغرفة المجاورة للشاطىء.

ثم مرّ أمامها ودخل الى مكتبته مقفلاً الباب وراءه.

لم تفهم ساره سبب غضب ستيفان، فاكتفت بالنظر الى الباب المقفل مدهوشة، ومجروحة من قسوة كلماته.

٦ - الخلاف

بصوت متوتر وبتأثر فائق، فسرت اوورورا لساره ما حصل. فسبب الحادث ان احداً نسي وضع جهاز الأمان حول المنشار الكهربائي. ولحسن الحظ كان زوجها قرب مكان الحادث وعندما رأى ما حصل، عرف انه لا وقت لديه ليذهب وينادي ستيفان، فحمل الولد ونقله بالباخرة بأقصى سرعة. فقالت ساره:

- هذا مروع يا اوورورا. انا آسفة. أين اخذوا الولد؟ الى ناسو؟

فمسحت السيدة السمينة دموعها بطرف كمها وقالت ان مستشفى الوثير اقرب من ناسو في احوال طارئة كهذه. ثم تنهدت قائلة:

- ليس بوسعنا الا الصلاة. اذا اخذ الله امانته وفقد هذا الولد

الحياة، لفقد السيد ستيفان عقله. فقد جاء بجو وهذا اسمه، من المدينة وكان عمر الصبي شهراً واحداً وما زالت له مكانة خاصة عند السيد ستيفان. وعلى الأرجح هو جالس الآن قرب جهاز الراديو القديم حيث سيبقى حتى تصله انباء من المستشفى.

ارتاحت ساره وارتفعت معنوياتها لأنها عرفت بأن كلامه معها بجفاف هو بسبب خوفه على هذا الصبي وقلقه... اذا لا سمح الله مات جو فلن يغفر ستيفان لنفسه كونه بعيداً عنه... لكنها لم تجرؤ على اللحاق به الى المكتبة لتسهر الى جانبه.

بعد ساعتين تقريباً جاء الى المكان الذي كانت تجلس فيه... كانت ملامحه قاسية. ورمى بنفسه على كرسي طويل واغمض عينيه دون ان ينظر اليها.

لم تعرف ساره كيف تتصرف... كان ستيفان ممتقع اللون، ضائعاً لدرجة اخافتها ففضلت الا تكلمه حتى تتفادى الجفاف في صوته. ثم لم ترد ان تظهر غير مبالية بما حصل. فتمتمت بخجل:

- انا آسفة فعلاً يا ستيفان.

ادار رأسه نحوها ففهمت انه نسيها تماماً، ثم قال بهدوء:

- آه ساره... هل اهتموا بأمرك؟

ارتعشت شفتاها بالرغم منها، ارادت ان تساعده، ان تخفف عنه، لكنها شعرت بانها غريبة لا بل متطفلة. فوقف ستيفان معلناً:

- يجب ان ابعث برسالة الى ناسو، والا قلقت اختك عليك.

- لا، ارجوك... لا اهمية لذلك... سنتدبر الأمر بعدما...

- لكن ... ساره... لماذا تبكين؟

- لا ... ابداً لكن اوورورا اخبرتني بتعلقك بالصبي. يبدو لي... انني جلبت لكم الشؤم معي... ليتني لم آت معك.

- على العكس. فاذا لم نأت معاً لكان الأمر اسوأ. فلو لم نعطه

دعماً . . .

- هل تعني انه . . . لم يمت؟

- طبعاً لا . . . من اين خطرت لك فكرة كهذه؟

- لكن اورورا قالت . . .

- اورورا تفقد عقلها اذا رأت جرحاً صغيراً، فالرسالة اللاسلكية التي ارسلوها لي تذكر ان الجرح عميق جداً لكنه ليس مميتاً ولا خطراً . . .

فتنفست ساره الصعداء وفتشت في جيبها ثم اخرجت منديلاً جففت به دموعها ووجهها.

- لو عرفت انك تفكرين بالأسوأ لأخبرتك منذ البداية، هل هو التفكير بأن صبياً اصيب بجرح مميت جعلك في هذه الحالة؟

فأخفضت ساره رأسها، ارادت ان تبوح له بأن حالتها تتعلق به وبسبب قلقها عليه هو، لكنها اكتفت بالقول:

- حوادث الأطفال تؤثر عليك كثيراً . . . كم عمره؟

- عشر سنوات.

- قالت لي اورورا بانك اتيت به وهو طفل رضيع، من ناسو. هل كان يتيماً؟

- نوعاً ما. كانت امه مصابة بالسل توفيت بعد ستة اشهر من ولادته. والده مسجون في نيوبروفيدانس . . . كان مكتوباً على جو ان تربيه جدته في كوخ صغير يعيش فيه اربعة عشر شخصاً، ففضلت المجيء به الى هنا.

فتساءلت ساره كم شخصاً في مركز ووضع ستيفان، كانوا قد اهتموا بمستقبل طفل متروك، خاصة وان والده له ماض حافل.

- اعتذر يا ساره، لقد كنت قاسياً معك في الكلام . . . اعذريني.

- لا داعي للاعتذار . . . كنت قلقاً على جو، ولا بد انك وصفتني

بالانانية، لكنني لم اكن اعرف بانك تملك جهازاً لاسلكياً، فاعتقدت ان انجيلا ستقلق علي.

- لا . . . لم اصفك بالانانية.

ومرت ثوان قليلة قبل ان يكمل:

- الآن، سابعث الرسالة الى اختك.

كان الليل قد غطى الجزيرة عندما تناولا طعام العشاء في المكتبة. لم يظهر في تلك الليلة للقمر اثر . . . بل امطرت السماء وعصف الهواء بقوة. لكنها لم تكن كافية لاقفال نوافذ البيت المخصصة للعواصف، فبنظر ستيفان، ان هذا الهواء هو عبارة عن متبقيات من اعاصير الشتاء الفتاكة المدمرة.

امضيا قسماً من السهرة يستمعان الى الاسطوانات وحوالى الساعة العاشرة، بعدما هدأ الهواء نادى ستيفان اورورا لتدل ساره على غرفتها.

كان السرير مغطى بملاية زرقاء اللون، لكن اورورا ارادت ان تمضي ساره ليلة مريحة.

فبعدما ارتدت ثياب النوم، التي استعارتها من ستيفان، جاءت اورورا وفي يدها فنجان فيه سائل ساخن بني:

- هذا السائل يساعدك على نوم اعمق يا آنسة ساره.

لم تسأل ساره عن المواد التي صنع منها هذا السائل، كانت رائحته غير مشجعة وطعمه اسوأ . . . لكنها ومن باب الأدب، شربته دون تذمر . . . وحصلت على نتيجة ايجابية فقد ارتاحت على اثره من ضغط النهار وشعرت بعد قليل بثقل في جفونها، وتغلغلت في فراشها ورائحة الياسمين تدغدغ انفها . . . وقبل ان تستسلم للنوم، شعرت بأن شيئاً ما، قاسياً، يضايقها تحت مخدتها.

عند استيقاظها، كانت الشمس تملأ الغرفة وزرقة السماء رائعة.

وبينما كانت تتهيأ للنهوض، رأت قرب كتفها. . . كيساً صغيراً جلدياً، محكم الاقفال. . . وكأنه يحتوي على بحصة. . . فوضعته في جيب تنورتها لتعطيه لأوروورا خلال الفطور، ولتسألها عما فيه ومن اين اتى. بعد ذلك اطلت من النافذة وتصبحت بعصفور جاء يطير امامها على اغصان شجرة. كانت رائحة الأرض منعشة بعد الشتاء، ولون البحر براقاً وكأنه حجر كريم كبير.

عندما خرجت من الغرفة، كان ستيفان بانتظارها في غرفة الطعام. فسألها وهو يسكب لها القهوة:

ـ هل نمت جيداً؟

ـ جداً. . . اعطتني اوروورا سائلاً شربته ونمت على اثره مباشرة، هل قلت شيئاً مضحكاً؟

ـ لا، عفواً. . . لكن مساحيق اوروورا سيئة الطعم اجمالاً.

ـ بالفعل. . . انها بعيدة عن اللذة. . . اتمنى الا تكون مصنوعة من مواد غريبة.

ـ هل تفكرين بكبد الضفادع الممزوج بدماء الأخطبوط؟ لا، لا اعتقد، فقد شربت الكثير منها عندما كنت طفلاً ولم تؤثر علي سلبياً حتى الآن. . . على فكرة، لقد عاد المركب وصموئيل يقول بان جو افضل بكثير من البارحة. . . عندما تصبحين جاهزة، سنذهب.

عندما اقتربا من ناسو تذكرت ساره الكيس الجلدي في جيبها، فأعطته لستيفان.

ـ ما هذا؟

ـ احدى خزعبلات اوروورا. رغم انها مؤمنة كثيراً بالله، لكنها تخاف من السحر عند الضرورة.

ـ اذن وقع منها الكيس دون انتباه على سريري.

ـ اعتقد انها تركته لك.

ـ لماذا؟ ماذا سأفعل به؟

فضحك متسلياً:

ـ يجب ان تسألي اوروورا عن ذلك.

ففرحت ساره. لا بد ان هذا يعني انه سيعود بها الى فلامنكو.

لما وصلت ارتاحت لأن انجيلا لم تعلق كثيراً على غيابها. اما السيدة ستيفنست فسألتها عن بيت ستيفان رائد وهندسته. اما سبب هذه اللامبالاة فهو ان رونالد تلقى انباء سيئة من احد معامله حيث يهدده العمال باضراب شامل، لذلك قرر العودة في نهاية الاسبوع.

قبل رحيل رونالد بليلة واحدة، تناول الجميع طعام العشاء باكراً وصعدوا الى غرفهم ليتنكروا استعداداً للسهرة المنتظرة. انتهت ساره من استعدادها قبل شقيقتها، فقد ارتدت لباساً بسيطاً جداً، زي مساعد قرصان السفينة. . . لم تتأمل ساره ان تفوز بالجائزة الأولى لكنها كانت مرتاحة بملابسها.

بنطلون ابيض ضيق على الخصر يربطه زنار احمر عريض مع قميص اسود وعلى رأسها مشلح اسود وابيض منقط. . . على وسطها سيف من ورق وضع اللمسة الأخيرة على تنكرها. . . وانتعلت حذاء رياضة. . سألت اختها عندما انتهت:

ـ كيف ابدو يا انجيلا؟

ردت انجيلا بعدما ازالت عن وجهها المسحوق المنظف.

ـ رائعة . . . بما انك انتهيت، اركضي واسألي السيدة ستيفنست اذا كانت بحاجة الى مساعدة للدخول في ثوبها.

ـ تريدين ان تتخلصي مني. . .

قالت ساره هذه الجملة لأن انجيلا رفضت الافصاح عن الزي الذي اختارته:

ـ نعم افضل البقاء وحدي. لكن اميلي بحاجة الى عون. فالزي

الذي استأجرته اصغر بكثير من قياسها.

ـ حسناً. لكن لا تتأخري والا مرض رونالد.

بعد نصف ساعة، وبعدما ساعدت ساره السيدة ستيفسنت في اقفال فستانها، رأت انف رونالد يطل من باب الغرفة.

ـ تستطيع ان تدخل يا عزيزي... كيف ابدو؟

كانت السيدة الخمسينية تتصرف وكأنها مراهقة تتحضر لسهرتها الأولى، لكن ساره لم تستطع الا ان تفكر بسوء اختيارها لزيها.

ـ انت رائعة يا امي.

اما رونالد، فعلى غرار ساره، وضع راحته في المرتبة الأولى واختار زي صياد.

كان الصالون مليئاً مكتظاً عندما نزلوا... في تلك الناحية سيدة متنكرة بلباس راكيل ولش والاخرى راقصة من تاهيتي... هناك امبراطور روماني او سلطان او امبراطورة مدججة بالحلي... بدأ رونالد يفقد اعصابه قائلاً ان المراكب ستسبقهم، عندما بدت انجيلا... صمت رونالد من شدة الاعجاب، وساره حبست انفاسها عندما رأت اختها. لم تر بحياتها انجيلا بهذا الجمال، وكان الصمت الذي حل اكبر دليل على انها لم تكن الوحيدة المدهوشة في القاعة. ارتدت انجيلا زي كليوباترا. ثوب طويل من الموسلين والحرير الأبيض، ممسوكاً عند الأكتاف بمشبكين لماعين تتدلى منهما شرائط الاطلس.

اظافر يديها ورجليها مطلية بالذهبي تماماً كلون صندالها. صممت شعرها الجميل بطريقة ادخلت فيه حبات لؤلؤ وريش ذهبي ووضعت على عينيها الزينة المذهبة والكحل الأسود، ما عدا شفتيها وشعرها، كانت أنجيلا كلها بيضاء وذهبية. فقالت السيدة ستيفسنت:

ـ انجي. حبيبتي. انت رائعة... رائعة... خيالية.

ـ شكراً، اميلي، انت انيقة ايضاً، رونالد.. هل استطيع ان اشرب شيئاً؟

ـ تشربين؟ آه... اي شيء تطلبين... انت خيالية... رائعة... اشكر السماء على اننا سنتزوج قريباً والا سرقتك هوليوود مني.

تأملتها ساره وقالت في نفسها ان الفرق بين زيهما هذا المساء يبرهن عن الفرق بين شخصيتيهما. عندما صعد الجميع على متن الباخرة، رأت ساره فاليري لانغدن اوين تصعد بصحبة غي كاستيل. كانت متنكرة بزي اسبانية بفستان احمر متعدد الكشاكش، يتماشى مع اسلوبها الغجري. زينت شعرها بمشط كبير اسود زرعت فيه وردة حمراء ووضعت في اذنيها حلقاً كبيراً... لم يكن قد ظهر اثر لستيفان عندما وصلت الباخرة الى الشاطىء، فشاهدت ساره الترتيبات التي وضبت للسهرة.

مكان شاسع للرقص على الاسمنت تحت خيمة قماشية هائلة. انير المكان بالأضواء اليابانية ورائحة اللحم المشوي تملأ المكان، الذي تولى امره شابان اسودان وقفا قرب نار حطبية.

على احدى اشجار النخيل انتصب مكبر صوت بينما جلست السيدة ستيفسنت قرب ساره على كراسي وضعت امام ساحة الرقص وضمت يديها السمينتين على صدرها قائلة:

ـ يا لها من جلسة رومنطيقية تذكرني بفيلم شاهدته.

ثم بدأت تروي لساهر قصة هذا الفيلم.. ويا لها من قصة معقدة طويلة لا تنتهي.

اجبرت ساره نفسها على الاستماع، بقدر الامكان او بالاحرى ادعت الاستماع بينما كانت تراقب الناس الموجودين. وتتفرس

بالبهلوان والكاوبوي ودراكولا وكل المتنكرين، لكنها لم تجد ستيفان.

وفجأة، بينما وصلت السيدة ستيفسنت الى ذروة القصة، شعرت ساره بيد تمر على كتفها فاستدارت ورأت رجلاً بزي لص خبأ عينيه بقماش اسود ولبس حلقة ذهبية بالاذن اليسرى، وتحلى بشنب اسود غامق... كان التنكر متقناً لدرجة انها لم تستطع معرفة الرجل، الذي قال منحنياً امام السيدة الاميركية:

- إدوارد تيتش بخدمتك يا سيدتي.

- يا الهي... السيد راند... لقد اخفتني.. تبدو شرساً بهذا الشارب.

فابتسم ستيفان وتحت الشعر المستعار، بدت اسنانه اكثر بياضاً. دعا ساره الى الرقص واخذها الى طرف الباحة حيث فك زناره العريض وتخلى عن سيفه وطرحها ارضاً. بعد ثانية، كانت ساره بين ذراعيه.

- انت مساعد قرصان جيد جداً. سأجد لك عملاً معي.

فابتسمت ساره واجابت:

- انا لا اعمل الا مع البواخر الناقلة المحترمة، يا كابتن تيتش.

- في هذه الحال ستجدين نفسك تحت امري دون ان تختاري ذلك.

فضحكت ساره وتساءلت اذا فهم ان ما قاله هو صحيح بالنسبة اليها. كانت تحبه، وكانت تحت امره ولم تختر ذلك بحياتها.

الساعات التالية كانت عظيمة بالنسبة اليها... وكلما توقفت الموسيقى واتى اناس ليحدثوها خافت من رؤية ستيفان يعتذر ليذهب مع غيرها. لكنه بقي بقربها وعندما كان يحدث اناساً آخرين، كان ينظر اليها محركاً شفتيه بطريقة محببة طالما جعلتها تسبح بالنشوة. وطالما فكرت في نفسها انه لن يتصرف هكذا لو انه لا

يحبها.

وراء نار الحطب حيث كانت تشوى اللحمة، رأت ساره فاليري اوين تتحدث مع ماتادور بعدما نجحت في التخلص من غي كاستيل... لكنها كانت تنظر الى ستيفان... بعد مدة قصيرة، استأذنت من محدثها ودارت حول النار.

- ستيفان... يا وقح.

نادته ضاحكة ثم قالت له جملة، بصوت خافت، لم تستطع ساره سماعه.

- هل تريدين ان ترقصي؟

- سأل هذا السؤال لساره رجل متنكر بزي فقير متقدم في السن. لم يعطها فرصة للرفض بل اخذها من يدها وجرها نحو باحة الرقص.

- اليست دعوتي فكرة جيدة؟

فردت ساره محاولة اخفاء غضبها:

- طبعاً، فكرة جيدة جداً.

لحسن الحظ، وبعد نهاية الرقصة، جاء احد ليتكلم مع رفيقها فاستطاعت الهرب، واتجهت نحو الشاطىء باحثة عن آل ستيفسنت... لم تقم بأي ضجيج اثناء سيرها اذ كانت تطأ الرمل بخفة. وبينما هي في طريقها، سمعت ضحكة امرأة فدارت عفوياً... ما رأته كاد يجعلها تصرخ الماً... مختبئان عن عيون الناس، رأت رجلاً وامرأة يعانقان بعضهما بشغف.

لكن مفاجأتها لم تكن من هذا المنظر العادي... ولكن بالرغم من الظلام، تعرفت على الفستان الأحمر الاسباني وعلى رجل مخبأ الوجه، وفي اذنه اليسرى حلقة ذهبية.. في اليوم التالي قالت ساره باتزان لاختها وهي تنظر اليها تشرب قهوتها الصباحية:

- اريد العودة الى لندن يا انجيلا.
- الى لندن؟
- نعم الى لندن في انكلترا.

-وقفت ساره وذهبت الى النافذة. كانت قد ارتدت ملابسها ووضعت بعضاً من الأحمر استعارته من اختها حتى تخفي آثار ليلة متعبة مليئة بالتفكير والانزعاج.

- لا داعي لكي ابقى مدة اطول اليس كذلك يا انجيلا؟ انت توصلت الى هدفك اما انا فبدأت اشتاق الى البلد.
- لكن لا بيت لنا هناك.
- سأجد غرفة ووظيفة لنفسي. استطيع ان اتوظف في شركة ترسلني لأحل محل سكرتيرة مريضة او غائبة... هذا شيء يعجبني لأني لا احب المكوث في عمل واحد.
- لكنك لم تعودي بحاجة للعمل، اميلي ورونالد يعتقدان انك ستأتين معي الى نيويورك، ففي نيويورك ستمضين وقتاً رائعاً... سهرات وشبان وسفريات.
- لا استطيع ان اعيش على حسابهم... فلن اكون مرتاحة.
- اسمعي يا ساره، اعرف انك لم توافقي يوماً على كل هذا. لكن لا جدوى لعنادك. لن تعودي لوحدك الى انكلترا. عليك المجيء الى الولايات المتحدة... قالت اميلي اننا نستطيع الرجوع مع رونالد... على الارجح غداً في طائرة المساء.
- لست مجبرة على اي شيء. لقد نظمت حياتك... انا سأنظم حياتي... سارجع.

بقيت انجيلا صامتة هنيهة:

- لا تستطيعين العودة. الا اذا قبلت ان تدفع اميلي بطاقة عودتك.

- انت مجنونة... بطاقة عودتي معي.
- لا، فأنا اخذت بطاقتي مجيء فقط...
- ماذا؟ لا، مستحيل... لم تفعلي هذا.

تناولت انجيلا سيكارة بهدوء تام... في تلك اللحظة فهمت ساره كيف يرتكب الناس جرائم من جراء غضبهم... اخذتها رغبة امساك اختها وهزها وضربها. ثم تناولت بيدين مرتعشتين حقائبها من الخزانة واخذت ترمي اثوابها الواحد تلو الآخر... كان عندها هدف واحد فقط: ان تترك اختها وآل ستيفنسنت بأسرع وقت ممكن.

بعد دقيقتين، انتهت من التوضيب، غير آبهة باعتراضات انجيلا.

- اين تذهبين هكذا؟
- ليست لدي ادنى فكرة... لكني لن اذهب معك الى الولايات المتحدة.
- تعقلي يا حبيبتي.

هدأتها انجيلا لأنها فهمت اخطاءها. فصرخت ساره وهي تضع الاحذية فوق الاثواب:

- اتعقل؟ انت تتكلمين عن التعقل؟ التعقل بالنسبة اليك هو التصرف على هواك... اهنئك... فقد نجحت، عندك الزوج الثري الذي تمنيت، والمال الذي طمحت له.
- ليس لي فقط، اردت ذلك لك ايضاً.
- شكراً جزيلاً... لكن المال ليس طموحي.

اقفلت ساره حقيبتها بقوة وذهبت لتأتي بباقي اغراضها من غرفة الحمام.

- اسمعي يا ساره، غير ممكن ان تذهبي هكذا... فليس معك مال.

- طالما استطيع الضرب على الآلة الكاتبة، لن اموت من الجوع.

- هل تتكلين على ستيفان لمساعدتك؟

فأزاحت ساره اختها من دربها وامسكت بثياب نومها ووضعتها مع الاغراض.

- من الآن فصاعداً، اتكل على نفسي فقط.

- هل سبب رفضك المجيء الى الولايات المتحدة هو ستيفان؟ لا تدعي عدم الاكتراث به. . . انت مجنونة بحبه، كل الفندق يعرف ذلك.

احمرت ساره من الغضب والخجل معاً وارتعشت شفتاها، لكنها اكملت توضيب اغراضها ثم، مع ما تبقى لديها من قدرة تمالك اعصابها:

- الوداع يا انجيلا، ارجو ان تجدي ما تطمحين له.

ارادت اختها ايقافها لكنها لم تفلح، خرجت من الغرفة حاملة حقيبتين، سائرة باتجاه المشى.

عندما رجع بيتر لانزو الى بيته في الساعة الحادية عشر مساء، تفاجأ برؤية صبية نائمة على كرسي طويل في الشرفة. وبعدما انار الضوء فوق الباب، تعرف على ساره غوردون، التي افاقها الضوء. نظرت اليه:

- ماذا تفعلين هنا يا ساره؟

كانت قد تخلصت من وهم النوم وتذكرت سبب وجودها هنا، عندما قالت:

- بيتر، هل استطيع تمضية الليلة هنا؟

فرفع حاجبيه من وقع المفاجأة ثم اجاب بلا تردد:

- طبعاً، اذا اردت ذلك. لكني سأحضر لك شيئاً تشربينه وتأكلينه. اعتقد اننا سنكون افضل في غرفة الجلوس. . الهواء بدأ

يعصف.

سكب فنجان قهوة لها بعد ان عاد من المطبخ مع بعض الأكل، لم يحاول استجوابها، لكنه جلس بهدوء واشعل سيكارة.

وقبل ان تفسر له ماذا حصل، فضلت ان تأكل خبزاً مع جبنة وترشف قهوتها خاصة وانها لم تتناول شيئاً طيلة اليوم، ثم قالت:

- اذا سمحت لي بالبقاء هنا هذه الليلة، سأجد بلا شك عملاً غداً. اعرف انني ازعجك لكن لا مكان آخر لدي سوى دائرة الشرطة.

- لا، لا ازعاج ابداً. . . اهلاً بك في اي وقت. لكن الأفضل ان تدعيني اقرضك بعض المال اذ انه باستطاعتك ايجاد غرفة في فندق ما في ناسو.

فاحمرت ساره فجأة.

- هل تعتقد ان الناس سيفهمونني خطأً اذا رأوني خارجة من بيتك في الصباح؟ اعتذر، لم افكر بذلك. . .

- هذا غير مهم بالنسبة الي. فالناس حكموا علي للأسف. اما انت فبالنسبة اليك الأمر مختلف.

خافت ساره من فكرة البحث عن فندق خاصة وان حالتها النفسية لم تكن تساعدها على ذلك.

- ارجوك بيتر. . . دعني ابقى، فكلام الناس لا يخيفني. . . ارجوك.

- حسناً. . . تعالي. . . ستشعرين بتحسن اذا اخذت حماما. . . وفي هذه الاثناء سأحضر لك سريراً مريحاً.

وبعدما ارتاحت ساره بفضل الحمام الساخن، رأت بيتر ينتظرها قرب غرفة الجلوس.

- القاعة ليست انيقة جداً. . . لكن السرير مريح. واذا تناولت

هذا الدواء، فستنامين بطريقة اعمق وافضل. . .

لو عرض عليها بيتر النوم في المطبخ لما اثر ذلك فيها بعد اطول واصعب يوم في حياتها. . . شربت الدواء المهدىء وشكرته:

ـ انت لطيف جداً يا بيتر، اعتذر لأني ادخلتك في قصة من هذا النوع.

فأمسك بيتر كتفيها وشدها نحوه بشعور اخوي صادق.

ـ حاولي الا تفكري كثيراً. . . غداً يوم آخر. . . نامي جيداً يا صغيرتي.

وطبع على جبينها قبلة حنونة ثم تركها. . . لكنها بالرغم من الدواء والتعب لم تستطع ان تنام الا بعد وقت طويل. فقد دارت في رأسها الف فكرة وفكرة. فقصتها مع اختها لم تكن السبب الأساسي في وضعها الحالي. . . كانت غاضبة ضد نفسها وضد ضعفها فقد علمت ان اساس تعبها وتوترها هو ستيفان. . . ستيفان. . . حتى ذكرى ستيفان تعذبها.

كانت مستعدة لتدفع من ايام حياتها لتجد بقرب ستيفان الراحة التي يعطيها اياها بيتر. استيقظت ساره في غرفة تغمرها الشمس. دق بيتر على الباب ودخل مع صينية الفطور. كان مرتدياً ملابسه وكأنه استيقظ منذ مدة طويلة.

ـ يا الهي. كم الساعة يا بيتر؟

ـ العاشرة فقط. . . الراحة جلبت لك النفع، فوجهك مرتاح. . . لدي انباء لك.

ـ من انجيلا؟

ـ لا، هل تعتقدين انها عرفت انك عندي؟

ـ لا اعرف. ما هي اخبارك؟

ـ اعتقد انني وجدت لك عملاً. انه مؤقت لكنه يسمح لك

بتحسين اوضاعك.

ـ آه بيتر. . . انت رائع. . اي نوع من العمل؟

ـ اعرف سيدة تملك مخزن ثياب. اتصلت بها هذا الصباح لأسألها اذا كانت سمعت بوظيفة شاغرة، ولحسن الحظ، مساعدتها غائبة سنذهب للقائها بعد الظهر. سأتركك الآن، تلميذي بانتظاري.

هل تتولين امرك حتى بعد الظهر؟ على فكرة، السيدة تؤمن لك مأوى ايضاً.

ـ بيتر، لا اعرف كيف اشكرك. اشعر بالخجل من المجيء هكذا وفرض نفسي. فأنا بلا شك آخر انسانة تود وجودها بقربك.

ـ بسبب انجيلا؟

ـ نعم.

ـ قولي لي. هل تعتقدين انها ستتزوج رونالد بعدما رفضت مرافقتها؟

ـ لا ادري. . . ربما اصبحت الثروة مرضها، لقد تغيرت لدرجة لم اعد اعرفها. بيتر، هل ما زلت ت. . .؟

سألت هذا السؤال وعضت على شفتها مخافة ان تكون قد تدخلت في امر لا يعنيها. فابتسم بيتر وقال:

ـ نعم. . . هذا جنون. . . اليس كذلك؟ لم اكن اعتقد يوماً بانني، في هذه السن، استطيع ان اقع في الحب كمراهق.

بعد الظهر، قادها بيتر الى مخزن السيدة السا التي وظفتها فوراً بالرغم من عدم خبرتها. ساعدها بيتر على حمل حقائبها عندها وبدأت بالعمل مباشرة. كانت ساره متأكدة من ان انجيلا لن تذهب قبل محاولة صلح. . . فبعدما فتشت عنها في كل الفنادق وانتظرت منها خبراً في اليوم التالي، لم يظهر اثر لأنجيلا. عندما انتهت من

الغداء، لم تستطع تمالك نفسها. ركضت الى المقهى المجاور وطلبت مكالمة هاتفية. كان بيتر غائباً عن منزله واكد لها خادمه انه لم يترك اية رسالة وان احداً لم يتصل.

اقفلت ساره الخط وجمعت شتات جرأتها واتصلت بالفندق:

- اريد ان اتكلم مع الآنسة انجيلا غوردون من فضلك . . غرفة رقم ٣٣.

- لحظة واحدة من فضلك . . . اعتذر لكن الآنسة غوردون تركت الفندق.

- ماذا؟ غير ممكن. اين ذهبت؟

- لحظة . . سأحولك على الاستقبال.

انتظرت ثم سمعت صوتاً اخر:

- مكتب الاستقبال. بماذا نستطيع خدمتك؟

- ارجوك، يجب ان اتكلم مع الآنسة غوردون.

- اعتذر لكنها تركت الفندق مساء امس.

- الى اين ذهبت؟

- اعتقد ان الآنسة غور . . .

واذ بصوت اخر يدخل على الخط ويأخذ المخابرة:

- ساره، اين انت؟

وكان صوت ستيفان . . . ارتجفت وكادت تقع من الدهشة . .

- لا يهم اين انا . . . اين انجيلا؟ يجب ان اكلمها . . يجب . . .

- لقد اخذت الطائرة الى ميامي مع السيدة ستيفنست البارحة مساء وتركت لك رسالة . . . اين انت بالله عليك . . . ماذا يحدث يا ساره؟

كانت قد اقفلت الخط . . . شعرت بالجليد في جسمها واستندت الى الحائط، جاءت خادمة المقهى لتسألها اذا كانت تشعر بوعكة صحية، فصرخت ساره من الألم ثم هرولت خارجة.

٧ ـ البداية

ـ كيف ستحصلين على الرسالة التي تركتها أنجيلا؟ قولي لراند اين أنت...

كانت ساره تجلس مع بيتر على الشاطىء تحت منزله... مرّ عليها بعد انتهاء عملها وعندما رأى وجهها عرف أنها على وشك الانهيار.

نظرت اليه نظرة تائهة وكأنها فقدت كل احتكاك مع الواقع، وكأنها لم تفهم سؤاله:

ـ الرسالة؟ أوه... لا أهمية لها... ماذا يمكن أن تقول لي أنجيلا فيها؟

ـ أتساءل ماذا قالت لستيفان مفسّرة رحيلك المفاجىء.

ـ ليست لدي أي فكرة... على العموم لا دخل له بهذا بيتر، سأذهب الى غرفتي. يجب أن أنام باكرا.

لاحظ بيتر تغيير نبرة صوتها عندما ذكرت ستيفان.

ـ يبدو أنك تخافين هذا الرجل، ألا تريدين المجيء بالرسالة مخافة رؤيته ولقائه؟

وقفت ساره وأزالت التراب عن رجليها:

ـ لا... ما هذه الفكرة؟

ولما عادا الى بيت بيتر قال لها:

ـ لديك متّسع من الوقت لشرب القهوة... الساعة لم تشر الى التاسعة بعد.

تركها على الشرفة ودخل الى المطبخ... أغمضت عينيها وأخذت تسمع صوت مطحنة القهوة والفناجين... ثم استرسلت في أفكارها... وفجأة قاطع أفكارها صوت باب يقفل في الشارع.

لم تعر ذلك انتباها لكنّ شعوراً ما جعلها تركض الى المطبخ.

ـ ما بك؟

لم يكد ينهي سؤاله حتى دقّ الباب. فقالت ساره بصوت منخفض:

ـ انه ستيفان.

ـ وما أهمية ذلك؟ لقد أتى ليسألني اذا كنت أعرف اين أنت.

ـ لا تخبره... لا أريد أن أراه.

ومرّ بيتر أمامها ليفتح الباب فأمسكت بذراعه:

ـ عدني ألاّ تدعه يدخل.

ـ حسنا، حسنا... ولكن ألا تعتقدين أ...

كان ستيفان قد دخل الى البيت قبل أن يكمل بيتر سؤاله... لم تجد ساره الوقت لتختبىء.

- مساء الخير... عرفت أني سأجدك هنا يا ساره.

بالرغم من نبرة صوته الهادئة، رأت ساره نفسها تتجه وتحتمي ببيتر سائلة:

- ماذا تريد؟

- أفضل أن أكلّمك على حدة اذا سمح لي لازلو.

- لا أخفي شيئاً على بيتر.

- حسناً.

فاقترح بيتر وهو يمسك بيد ساره ليطمئنها:

- فلنذهب اذن الى قاعة الجلوس.

ولمّا جلس الجميع سأل بأدب:

- هل تريد أن تشرب شيئاً يا راندا؟

- شكراً، هذه ليست زيارة عادية، الأفضل أن تقدّم شيئاً لساره، فهي تبدو بأمسّ الحاجة لذلك.

- الآنسة غوردون لم تكن على ما يرام... كنت على وشك ارجاعها الى بيتها... هلاّ أفصحت عن سبب زيارتك؟

- في هذه الحالة، سآخذها أنا... فنستطيع التكلّم ونحن في طريقنا.

فقالت ساره:

- أفضّل أن نتكلّم هنا... هل أستطيع ان ادخّن سيكارة يا بيتر؟

تفاجأ بيتر من هذا الطلب لكنه قدّم لها علبة السكائر... تناولت ساره سيكارة بيد مرتجفة... ولما اقترب ستيفان ليشعلها لها، تجاهلته وانتظرت أن يشعلها لها بيتر. عندها تناول ستيفان من جيبه مغلّفاً.

- هذه رسالة أختك.

- شكراً... لم تكن مضطراً لكل هذا الازعاج. كنت أخذتها من مكتب الاستقبال.

- بلا شك... حتى لا تواجهي سؤالات صعبة مني.

- لا أفهم، أي سؤالات؟

- سبب وجودك هنا بينما رحلت اختك الى الولايات المتحدة؟

- ألا تعتقد أن هذا من شأننا فقط؟

- ربما... لكن أختك طلبت مني الانتباه لك.

- لا أصدّق... لماذا طلبت ذلك منك؟

- لأنها قلقة عليك على الارجح.

رفعت ساره رأسها عندما سمعت صوتاً غريباً في المطبخ آتيا من آلة القهوة... فركض بيتر ليتدبّر الامر. وما أن تركهما حتى أمسك ستيفان بيدي ساره:

- لا تلعبي معي... ماذا حدث بينك وبين أنجيلا؟ هل خطوبتها هي السبب؟

- اتركني... كيف تسمح لنفسك بالمجيء الى هنا لتسألني أسئلة من هذا النوع؟

حاولت التخلص منه لكن قبضته كانت أقوى منها.

- لا أستطيع البقاء هادئاً عندما أراك تتصرّفين مثل البلهاء... وهذا الذي تضعينه في فمك... ستجعلك تصابين بسعال...

ترك يداً من يديها ليتناول السيكارة من فمها بقوة ويرميها من النافذة. فاستفادت ساره من هذه الفرصة لتحرّر يدها الثانية... وبعد ما وقفت قالت مستاءة:

- طفح الكيل. أنت مجنون... منفصم الشخصية، يخال اليك انك تملك حق اللحاق بزبائن فندقك الوسخ في كل أنحاء الجزيرة؟

وقف ستيفان لكنه لم يتراجع خطوة واحدة... كان قريباً جداً منها، وبالرغم من غضبها ونقمتها عليه، شعرت ساره بوجوده قربها.

- خيّل الي في فترة من الفترات أنك لا تكرهين اللحاق بك. . .

بعد هذا التأكيد بصوت ساخر، لم تستطع احتمال ما قاله ولم تعد تتمالك نفسها، فصفعته بقوّة لا واعية دون أن تشعر بما فعلته. ولحسن الحظ عاد بيتر في اللحظة الحاسمة والاّ، لكانت العواقب وخيمة، خاصة وان ملامح وجه ستيفان برهنت على ارادته في الرّد بطريقة أو باخرى.

- أفضل لك أن تذهب، راند.

- ليس بدونها.

- اذن ستنتظر كثيراً يا سيد راند. . . أود أن أخبرك أنني خطيبة بيتر، واذا احتجت الى مساعدة، سأطلبها منه.

مرّت أمام ستيفان وذهبت وأمسكت بذراع بيتر. فنظر اليها ستيفان وخافت ألاّ يصدقها. عندها، وبصمت بالغ، وعلامة أصابعها ما زالت على خده، خرج من البيت. وبعدما سمعت صوت محرّك سيارته يبتعد، تنفّست الصعداء.

- آه بيتر. أنا آسفة. لم أقصد ما قلته. . . لقد. . . لقد خرجت الكلمات من فمي، هل أنت غاضب؟

- لا ياصغيرتي، لكنّك أخطأت. . . فأنا لم أكن قد فهمت بعد أنك مجنونة بحب هذا الرجل.

كانت لهجته مقنعة ممّا جعل ساره تلقي رأسها على كتفه وتبكي حبّها الضائع.

في الاسبوع التالي، قرأت ساره عدة مرات رسالة اختها الخالية من أي وعد أو أمل.

«عزيزتي ساره،

الآن، بعد ما ذهبنا، لا بد أنك فهمت أنني سأكمل الطريق الذي اخترته دون تردّد.

تجدين طيّه ما تبقى من مالنا. رجوت ستيفان أن يسهر عليك ويهتمّ بك. قلت له حقيقة مشاعرك نحو زواجي ومعارضتك له. اميلي تعتقد أنك ذهبت الى لندن لانهاء أعمالنا.

عندما تصبحين جاهزة لتقبّل الواقع، ابرقي لي على العنوان التالي. . . عندها أتدبّر أمر سفرك. . .

التوقيع: انجيلا».

خيّل لساره أنّ عليها الاختيار على حساب قناعتها المعنوية أحد الامرين: اما القبول بزواج اختها واللحاق بها الى الولايات المتحدة، أو البقاء وحيدة والعيش حياة صعبة. . . لم تكن تكره آل ستيفسنت بل على العكس، كانت متأكدة من أنها سيقومان بكل ما بوسعهما ليسعدا أختها. . . كانت ضائعة تأكلها الشكوك، عندما دخل ستيفان الى المخزن الذي تعمل به:

- ماذا تريد؟

واذ به يقفل باب المخزن. فتراجعت وراء طاولة البيع:

- ارجوك، اذهب. لا حقّ لك في المجيء الى هنا.

- فضّلت ألاّ يكون الامر ضرورياً. . . اخشى أن تكون أخباري لك سيّئة يا ساره.

- أخبار سيّئة؟. . . هل. . . هل حصل مك. . . مكروه لأنجيلا؟

- لا، لا، لا يتعلّق الامر بأختك. . . انه لازلو. . . لقد تعرّض لحادث سيارة. . . اذا أقفلت المخزن سآخذك الى المستشفى.

- طبعاً. . . السيدة السا ليست هنا لكي أستطيع ترك المفتاح في المخزن المجاور مع ذكر مكان وجودي. . . هل اصابته خطرة؟

- يصعب القول. . . لكنني اذا فهمت جيداً، ستجرى له عملية جراحية.

سألت ساره وهي في السيارة:

ـ كيف عرفت بشأن الحادث وكيف عرفت مكاني؟

ـ من الصعب اخفاء شيء في ناسو فأنا أعرف مكانك منذ زمن. أما في ما يتعلّق بحادث لازلو، فقد اتّصل بي المستشفى بسبب وجود رسالة كانت في جيبه... رسالة من الولايات المتحدة... من أختك... أرسلتها له من الفندق.

ـ لماذا لم تحضرها لي طالما عرفت أين تجدني؟

ـ فكّرت أنك تفضّلين أن يجهل الناس أين أنت.

بعد دقائق وصلا الى المستشفى... وأوصلهما البواب الى قاعة الانتظار، مضى وقت قبل أن يهتم أحد بهما، فأخذت ساره تمشي في القاعة ذهاباً واياباً.

ـ لا تقلقي كثيراً، فهو قوي... والخدمة عظيمة في هذا المستشفى.

ـ الا تعرف شيئاً آخر؟ كيف حصل ذلك؟ هل كان الحادث خطيراً؟

قبل أن يجيبها دخلت ممرّضة تعرف ستيفان من قبل اذ حيّته ونادته باسمه.... فعرّفها على ساره:

ـ هذه الآنسة غوردون... انها خطيبة السيد لازلو.

ـ أخاف الاّ يكون بامكانك رؤيته، فهو ما زال في غرفة العمليات. لكنّنا سنعلمكما حالما يخرج. سأجلب لك بعض الشاي. هل أنت باقٍ معها يا سيد راند؟

ـ نعم، بالطبع... ألا تستطيعين اضافة شيء عن حالته؟

ـ كان معه ثلاثة أشخاص في السيارة، اصيبوا بجروح طفيفة لكنّ اصابته هي الاكبر.

تردّدت فقال لها ستيفان:

ـ أعتقد أن الآنسة غوردون تفضّل معرفة ماذا سيحصل له.

فلملمت ساره شجاعتها وتمتمت:

ـ هل... سيموت؟

ـ لا، طبعاً لا، انه شاب قوي. والدكتور كونواي جرّاح عظيم، لكن جراحه خطيرة وأعتقد أنه سيمكث طويلاً عندنا.

عندما ذهبت الممرّضة، رمت ساره بنفسها على كرسي وتنهدت:

ـ لا يأتي النحس الاّ مرة واحدة.

ثم رفعت رأسها نحو وجه ستيفان القلق:

ـ أشكرك لأنك نويت البقاء معي... لكن لا داعي لذلك... أنا متأكدة من أنك منهمك بأشياء اخرى.

ـ كل الاعمال تنتظر... سأتركك لحظة واحدة... لأرى ماذا فعلوا برسالة اختك.

لمّا ذهب، أتت مساعدة ممرضة بكوب من الشاي. تناولته ساره ضاحكة بسخرية مرّة:

ـ شاي انكليزي أصلي... يشفي كل الامراض... من ألم الرأس الى ألم القلب المجروح!

عاد ستيفان مع الرسالة وأعطاها لساره ثم ابتعد بهدوء وأشعل سيكاره... كانت الرسالة مختصرة: وصفت أنجيلا منزل آل ستيفنسن وأعطت انطباعاتها الاولى عن مينابوليس. قالت أيضاً ان موعد زواجها قد حدّد في الشهر المقبل. في النهاية رجت أختها أن تكتب لها لتطلعها على مشاريعها.

مرّ على وجودهما ساعة، فتح الباب بعدها الدكتور بلباسه الأبيض. فانتظرت ساره حكمه بفارغ الصبر.

أعتذر لأني جعلتك تنتظرين طويلاً... لكنني سعيد باخبارك أن خطيبك تغلّب على جراحه وأن حالته في تحسن.

- هل أستطيع رؤيته؟

- الأفضل أن تذهبي وترتاحي في منزلك فهو ما زال تحت تأثير المخدّر. سنتصل بك حالما يستفيق نهائياً.

- حسناً... ولكن هل زال الخطر عنه... نهائياً يا دكتور؟

- لا تقلقي يا آنسة غوردون... أعدك بأن نخبرك اذا طرأ تغيّر على حاله.

جواب الطبيب لم يكن مطمئناً... ثمة نبرة في صوته جعلت ساره تشك في حقيقة ما يقول.

- أرجوك... قل لي يا دكتور كل الحقيقة... لن يغمى علي.

فنظر الطبيب الى ستيفان:

- قلت لك الحقيقة يا آنسة غوردون. ففي ظروف كهذه، ونسبياً لاصابته، السيد لازلو في أفضل الاحوال... ولكن... حسناً هنالك شيء آخر، فبالاضافة الى كسر في عظام الرأس، هناك اصابة في رجله اليسرى... قمنا بكل ما بوسعنا لانقاذه، لكن هناك خطر الـ...

- آه، لا. لا. لا يمكن أن يصبح مقعداً. لقد خسر أشياء كثيرة في حياته حتى الآن.

فأمسكها الطبيب وأجلسها.

- لا شيء يبرهن لنا بأننا سنضطر الى قطع رجله، لكنك طلبت مني أن أكون صريحاً للغاية.

- نعم... أشكرك، لكن بيتر لاجىء من هنغاريا فقد عائلته ووطنه... فاذا حصل له مكروه...

نظر اليها الدكتور نظرة تفهّم وشفقة.

- أفهم شعورك وأقدّره. لكن اذا استطعنا انقاذ رجله اليسرى، عليك البقاء بقربه خلال فترة النقاهة. هل لدينا عنوانك ورقم

هاتفك؟

- ستكون في فندقي.

أمام جواب ستيفان الصارم، لم تستطع إلاّ أن تسأل:

- والمخزن؟

- ستجد السيدة السا مساعدة اخرى. لا عليك سأفسّر لها كل شيء.

كان يكلمها بنوع من السلطة والحزم، كانت منهمكة بمشكلة بيتر، لذلك فضّلت ألاّ تجادل ستيفان. عندما عادا الى الفندق، أدخلها ستيفان الى غرفته الشخصية وأجبرها على شرب فنجان قهوة ساخن. عندها لم تجد مانعاً من قبول مساعدته لكنها قالت:

- ستيفان، لطف منك أن تعرض علي البقاء هنا لكني أفضل العودة الى بيتي.

- أنت تسكنين عند السيدة السا، أليس كذلك؟ أشك في قبولها في ابقائك في البيت طالما توقّفت عن العمل معها، وأشك أيضاً أن تستطيعي البقاء قرب بيتر مع احتفاظك بوظيفتك.

- أستطيع ايجاد غرفة في مكان ما؟ ثم... ليس لدي المال الكافي لأدفع أجرة غرفة في فندقك.

- سأعطيك غرفة تستطيعين دفع ايجارها اذا عملت كموظّفة في الفندق، في كل حال نحن بحاجة الى موظفة هذه الأيام... لست محباً لأعمال الخير، فلا داعي للتفكير بهذا الاتجاه، لو عرفت أنك بحاجة لعمل، لعرضت عليك هذه الوظيفة. وحتى لا أزعجك، سأذهب الى فلامنكو وأمكث فيها... هل يعجبك هذا الحل؟

فتردّدت ساره. كان على حق. فمن غير الممكن أن تبقى عند السيدة السا. كما أن بيتر أنذرها بصعوبة ايجاد غرف رخيصة في ناسو... فالمدينة مخصّصة للزائرين الأثرياء... لا مكان فيها

للمصروف المحدد.

ـ حسناً... أشكرك.

ـ لا داعي لذلك... فهذا يسمى بتبادل الأعمال. والآن، أرجوك اعطائي عنوان السيدة السا... سأجلب أمتعتك من عندها واضعك بين يدي مدير أعمالي.

فأعطته ساره المعلومات المطلوبة وسألته:

ـ هل أستطيع ارسال برقية لأختي؟

ـ طبعاً. اذا أردت. اكتبيها على هذا الدفتر وسترسلها لك السيدة المسؤولة، أعتذر لحظة.

لما أصبحت وحيدة، عضّت ساره على قلمها ولمّا قررت، كتبت لاختها:

«مستحيل ترك ناسو: بيتر مجروح في حادث سيارة. مرضه خطير بعد العملية. مستشفى الجنرال. الاميرة مارغريت. يسأل عنك. ساره».

بعد يومين وحوالى الساعة السابعة صباحاً، سمعت ساره الباب يفتح وهي تغسل شعرها في غرفتها... فصرخت معتقدة أن عاملة الاستقبال، ماريان، هي التي دخلت عليها:

ـ هل اتصل بي أحد يا ماريان؟

ـ لا أدري.

فتركت ساره المنشفة التي في يدها، وأزاحت شعرها المبلّل ونظرت في المرآه... لم تكد تصدّق ما رأته، ثم ادارت وجهها:

ـ أنجيلا... هل أتيت؟

نظرت الاختان هنيهة الواحدة الى الاخرى، ثم ركضت أنجيلا وضمّت ساره اليها بقوة.

كانت كل واحدة تبكي وتضحك في الوقت ذاته... وتتكلّمان

معاً وتصرخان معاً من الفرح.

ثم رجعت أنجيلا الى الوراء ومسحت وجهها:

ـ آه ساره... كم كنت بلهاء، ليتك علّمتني درساً أكبر... ليتك تخلّيت عني...

فهزّت ساره رأسها:

ـ لقد أخطأنا معاً... لو كنت أقوى مما كنت عليه لما حصل كل هذا. لكن الاهمّ الآن هو ان تذهبي الى المستشفى. أتيت بسبب بيتر... أليس كذلك؟

ـ لقد رأيته. فقد ذهبت الى المستشفى مباشرة من المطار... خفت ان أصل متأخرة.

قالت هذا وأجهشت بالبكاء... فكانت دموع الحزن ممزوجة بكل ما لديها من ذكريات أليمة واعتراف بالخطأ... فأخذتها ساره بين ذراعيها بنعومة وحنان، وبعد وقت قصير هدأت أنجيلا:

ـ اعذريني... لا أدري لماذا أنا بلهاء لهذه الدرجة... ربما لأنني سعيدة جداً.

ـ هل تعنين أنك وبيتر...

فهزّت أنجيلا رأسها بالايجاب واعترفت:

ـ ما زلت مؤمنة بأنّ هذا جنون من جهتنا. فنحن لا نعرف بعضنا الاّ منذ فترة قصيرة، لكن... ما باليد حيلة.

ـ أعرف ماذا تقصدين.

ـ ساره، حبيبتي... أريد أن أبوح لك بشيء... في اليوم التالي الذي تركت فيه الفندق، بعد خلافنا...

ـ لا اهمية لذلك... فلننس هذه الذكرى.

ـ بل. الأمر مهم. ما قلته عنك وعن ستيفان لا يغتفر.

فدارت ساره نحوها.

- كنّا متضايقتين منزعجتين... وكنت أيضاً قاسية معك.
- كنت أهلاً لدرس من هذا النوع... أما أنت فهل تحبينه؟
أخذت ساره مشطاً وحاولت تمشيط شعرها المبلّل:
- لا تأبهي... مرحلة وتمضي.
- عندما قيل لي انك هنا، اعتقدت أن شيئاً جديداً قد حصل.
ففسّرت لها أختها بكلمات قليلة ماذا حصل خلال غيابها وانتهت بهزّة كتف.
- يعتقد ستيفان أنني خطيبة بيتر.
- هل ما زالت فاليري لانغدن اوين هنا؟
- لا أدري، أنا لا أنزل الاّ للعمل في المكتب.
- هل ستبقين هنا؟
- لا أدري، لم اقم بأي مشاريع... كل شيء يتوقّف على شفاء بيتر وعلى بقائك.
- سأمكث في بيت بيتر وعندما تتحسّن صحته سنتزّوج. ثم، من يدري... ولكن مهما فعلنا فستكونين معنا. الا تريدين المجيء معي الى بيت بيتر الآن؟
- لا أستطيع أن أترك المكتب دون انذار ستيفان وهو في فلامنكو الآن... سأفكّر بالأمر عندما يعود.
انتهت ساره من تسريح شعرها وارتدت قميصها.
- أنجيلا، ماذا حدث مع آل ستيفنسن؟ هل تأثروا برحيلك؟
- نعم، كثيراً. لم أجرؤ على مواجهتهم. لكنني عرفت أنني ألحقت بهم كثيراً من الأذى. لذلك اعترفت لهم بكل شيء. ساره... هل تعتقدين أننا سندفع ثمن أخطائنا؟
يخيّل الي أن حادث بيتر هو بسببي وأنه لا يحق لي ان أعيش سعيدة... في المستشفى

قالوا لي ان الخطر زال، لكنه غريب ومتعب. هل تعتقدين أنني ربّما أكون السبب في...؟
تخلّل صوت أنجيلا نوع من الارتعاش، ثم وضعت يدها على عينيها.
- يا حبيبتي، ما هذه الافكار السوداء؟ بيتر أفضل حال من قبل. من الطبيعي أن يكون متعباً، فالحادث كان خطيراً. ولكن الآن، وبعد ما عدت اليه، سيتحسّن بسرعة أكبر.
عندما ذهبت أنجيلا الى بيت بيتر، بقيت ساره سارحة في أفكارها. تسأل نفسها بدون توقّف كيف يمكن تخطّي هذا اليأس؟ لكن شجاعتها كانت تخونها. فهي متأكدة من عدم قدرتها على نسيان ستيفان وجزيرة اسمها فلامنكو كاي.
في الاسبوع الذي تلا عودة أنجيلا، استفهمت ساره عن امكانية دفع ثمن بطاقة عودتها الى انكلترا وذلك باتمام عمل ما، لكنّ وكالات السفر الجوّية والبحرّية أجابتها بالرفض.
أمضت أنجيلا كل وقتها في المستشفى الى جانب بيتر. فبدت وكأنها انسانة اخرى، حتى مغامرتها الحزينة مع روس أندرسون والتي كانت السبب في مجيئها الى ناسو، لم تغيّرها بهذا الشكل. أنجيلا اليوم تركت كل أنانيتها ممّا زادها جمالاً. وغطّت حرارتها الانسانية على برودتها المعهودة ممّا أسرع في شفاء بيتر.
اكتشفت ساره أن عائلة لانغدن اوين تركت الفندق، فاستعادت أملها. لكنها سرعان ما فكّرت بأنها بلا شك في فلامنكو مع ستيفان. لم تستطع ان تتخيّل فاليري في تلك الجزيرة. واقترحت على نفسها التسلّل في احدى البواخر المتجهة نحو الجزيرة.
ذات مساء وهي خارجة من غرفتها بقصد التنزّه على الشاطىء، اصطدمت بستيفان. فمدّ يده نحوها عندما رآها ستفقد توازنها

وتقع. لم تستطع أن تتحمّل حرارة يده فأبعدته عنها وركضت نحو سلّم الخدم.

ـ ساره. . .

لحق بها والتقاها بعد ما هبط طابقين.

ـ ساره، بالله عليك. . .

حاربته وكأنها حيوانة مفترسة لدرجة أن كمّ فستانها تمزّق. ولوهلة قصيرة خفّف ستيفان ضغطه عليها فكادت تفلت منه لكنه عاد وأمسكها وأسندها الى الحائط. ثم ضمّها الى صدره بقوّة وغضب وشغف.

وبعد وقت طويل، عندما شعرت بيدي ستيفان ترتخيان قليلاً، استفاقت من هذا الحلم، فرفع رأسه قائلا:

ـ الآن لديك سبب وجيه للغضب.

وفجأة أصبح كل شيء بسيطاً واضحا. . . أي رجل في العالم حتى ستيفان لا يتصرّف بهذا العنف دون سبب. . . والسبب واضح.

ـ آه. . . ستيفان.

كان بريق عينيه ينم عن نار حبّه الكبير. ابتسم وقال:

ـ ساره. . .

وضمّها اليه بقوّة، متمسّكاً بها، خائفاً من اضاعتها من جديد.

وبعد هذه اللحظات الحالمة، ابتعد عنها ليرى تعابير وجهها.

ـ اذا كنت خائفة من غضب خطيبك، فلا عليك يا حبيبتي، أنا أعرف كل شيء.

ـ تعرف. . . أتعرف حقاً؟

ـ ذهبت لرؤيته في المستشفى، فوجدت أختك. وبمجرّد أن رأيت ما رأيت، فهمت على أن قدرته على الشفاء فائقة.

ـ اذن أخبروك كل شيء. . . كل الحقيقة؟

ـ قسماً منها. أعتقد أنهما يجهلان القسم الأكثر أهمية بالنسبة إلي.

ـ أي قسم؟

ـ السبب الذي من أجله ترفضينني منذ مدّة طويلة. . . لماذا يا ساره؟

ـ آه يا ستيفان. هناك أسباب عديدة جداً. فكيف كان بامكاني أن اعرف أنك.

ـ أني أحبك؟ أنت بلا شك محدودة التفكير يا قلبي.

ـ لا. . . كنت غامضاً، ولمّا رأيتك. . .

فتوقّفت عن الكلام واحمرّت بينما ابتسم ستيفان:

ـ المكان غير مناسب للتكلّم عن مواضيع مهمّة كهذه. تعالي. . . فلنذهب الى بيتي. في جوّ غرفته الخصوصية الهادىء، أجلسها ستيفان وضمّها اليه.

ـ الآن. . . قولي لي ما الذي رأيته والذي سبب لك هذا الهرب؟

ـ كان ذلك ليلة السهرة التنكرية.

ـ أحقاً؟ عرفت أن هذه السهرة هي أصل مشاكلنا. كان كل شيء قبلها على ما يرام. كنا على وشك التوصّل الى نتيجة عندما بدأت تتراجعين.

ـ لم يكن الأمر مشجّعاً. . . فقد رأيتك تعانق امرأة اخرى.

ـ رأيتني ماذا؟

ـ رأيتك مع فاليري لانغدن اوين.

صمت الاثنان قليلا ثم أخذ ستيفان يضحك.

ـ ولهذا تحوّلت الى قالب ثلج معي؟ لم أعانق أحدا في ذلك المساء، ولا حتى فاليري. . . أردت في تلك السهرة أن أكون معك انت. ليس الكذب من عاداتي. . . لقد رأيت فاليري مع أحد القراصنة،

ربما... لكن ليس معي، كان هناك العديد من القراصنة.

فهمت ساره أنه صادق...

ـ ألم تحز على اعجابك؟

ـ هذا النوع من الفتيات لا يعجبني.

ـ أكاد لا أصدق انني أنا من نوع النساء الذي يعجبك.

فقال ممازحاً:

ـ أنا لا أصدّق ذلك، لكن أورورا متأكدة من أنك تمثّلين الزوجة الصالحة لي... وأنا أحترم حكمها.

ـ وماذا تعرف أورورا عني؟

ـ لديها الحاسة السادسة فيما يتعلّق بهذه الأمور... في الليلة التي أمضيناها في فلامنكو، وافقت تماماً على علاقتنا. أتذكرين السائل الذي شربته والكيس الذي وجدته تحت وسادتك؟ هذا ما تسميه أورورا بجاذب الحب.

ـ هل عرفت شعوري تجاهك؟

ـ سألتها... فطلبت مني أن أتأكد بنفسي. لكني للأسف لم أسمع كلامها فوراً... وإلاّ لكنت قبلت في الليلة ذاتها وكنّا وفّرنا على نفسينا كل هذه المتاعب.

ـ كنت قبلت قبل تلك السهرة بكثير.

وبعد ما تبادلا العديد من النظرات الحالمة، تمتمت ساره بصوت هادىء:

ـ أكاد لا أصدّق... منذ ساعة من الزمن كنت يائسة، حزينة، فكّرت برمي نفسي في البحر، والآن...

تنهّدت مرتاحة... كانت يد ستيفان تدغدغ خدّها.

ـ والآن... ماذا؟

ـ هل ... هل تعرف...

ـ لا، لا أعرف... قولي لي...

ضمها بنعومة وحنان بينما ظلّت ساره صامته هنيهة ثم وقفت:

ـ لا، اريد أن أخبرك بشيء جدي...

فاستمع ستيفان اليها بدون أن يقاطعها... اعترفت له بكل القصة، منذ البداية... لكنّه لم يعلّق... شعرت ساره بخوف كبير من فقدان سعادتها الجديدة...

وأخيرا سألها:

ـ هل هذه كل القصة؟

ـ نعم... هذا كل شيء.

فاقترب منها وأخذ وجهها بين يديه ونظر في عينيها وضحك مقهقهاً:

ـ هل تقصد أن قصتي لم تؤثر عليك؟ لم تصدمك؟

ـ أثرت علي كثيراً... لكني في الواقع شعرت بها منذ البداية، فمهنتي تجبرني على معرفة الناس والحكم عليهم.

ـ اذن كيف حكمت علي؟

ـ انك الفتاة التي أريد العودة اليها بعدما أنتهي من عملي كل يوم...

ثم أكمل بجدية:

ـ اسمعي، أريد ان اطلب منك شيئاً آخر.

ـ ماذا؟ اطلب...

سألته هذا وقلبها يخفق خوفاً من ردّة فعل عنده غير منتظرة:

ـ متى تريدين أن نتزوّج؟

فبدت على وجه ساره ملامح السعادة... بريق الدنيا في عينيها... وعلى فمها ابتسامة لا توصف... أخذت تتأمل وجه ستيفان الذي طالما أرادته وحلمت به وأمضت ليالي طويلة تتعذّب من

أجله... فوضعت يديها حول عنقه:
ـ ستيفان، حبيبي، أنت صاحب الأمر...